تحكيم النظار

فيما جرى من الاختلاف بين أمة أبي القاسم صلى الله عليه وسلم

للمسكين المتعرض لما لا يطيق

صالح بن أحمد

صاحب الرسالة لم يأذن لأحد كائنا من كان بالتعليق على رسالته بتاتا بل تطبع على ما هى عليه بدون زيادة ولا نقص وقد رخص المؤلف فى التعليق عليها وذلك من قبل من كان على عقيدة السلف وكان عالما بالسنة وذلك فى ص ١٠٣

مكتبة التوعية الإسلامية

لإحياء التراث الإسلامى

الناشر

مكتبة التوعية الإسلامية
لإحياء التراث الإسلامي
ناصية شارع محمد عبد الهادي
الجوهرة - الطالبية - جيزة

الفاروق الحديثة للطباعة والنشر
خلف ٦٠ ش راتب باشا حدائق شبرا
ت : ٦٤٧٥٢٦ القاهرة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

أما بعد فهذه رسالة صالحية أسماها مؤلفها بتحكيم الناظر فيما جرى من الاختلاف بين أمة أبى القاسم ﷺ قد اطلعت عليها من أولها إلى آخرها مصححاً لها والفيتها قد طابقت اسمها حذو القذة بالقذة .

وقد بالغ المؤلف فى تسهيل ألفاظها فلا يحتاج قراؤها إلى مصاحبة قاموس ولا منجد وبالغ أيضا فى البيان حتى أصبح الناظر فيها على بصيرة فى دينه حيث أظهر له ما كان مخفيا عنه .

أسأل الله الكريم أن يوفقنا لما يحبه ويرضاه ويجعل هذه الرسالة نتيجة كبرى لهداية كثير من الناس وصلى الله على سيدنا محمد فى البدء والختام .

كتبه
عبد الرحمن الأفريقى
المدرس بالمسجد النبوى بالمدينة المنورة
وبمدرسة دار الحديث

الحمد لله الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره الكافرون وأنزل عليه كتابا كريما مرغما لأعدائه هاديا لأوليائه مبينا للحلال والحرام قاطعا للخصام شافيا للسقام حاكما على الأحلام هادما للأوهام حجة فى كل زمان، ونحمده لأن هدانا وجعلنا من أمة خير خلقه وآوانا فى بلدته وجعل الهدى والنجاة فى اتباعه . . ثم الصلاة والسلام على نبيه سيد الأنام وعلى آله وصحبه السادات الكرام.

وبعد فمن العجائب اختلاف هذه الأمة المحمدية فى دين الله سبحانه وتعالى حتى تشابهوا بأهل أديان شتى لكثرة اختلافهم ولتفرقهم فى دين الله سبحانه وتعالى فى أصوله وفروعه مع أن كتابهم المحفوظ واحد ونبيهم الذى أرسل إليهم واحد ومع ذلك اختلفوا وتفرقوا وصاروا فرقا وصارت كل فرقة منهم تخطىء وتضلل الأخرى وتقول كتبنا وكتبكم وإمامنا وإمامكم وترى أن الذى هى عليه هو الحق المبين ودين الله المتين الذى بلغه الرسول الكريم من عند رب العالمين لتتناقله الأمة إلى يوم الدين. وترى كل فرقة منهم أنها هى التى استثناها النبى ﷺ حين حدث فقال: «إن بنى إسرائيل تفرقت على اثنتين وسبعين ملة وستفترق أمتى على ثلاثة وسبعين كلها فى النار إلا ملة واحدة. قالوا: من هى؟ قال: من كان على ما أنا عليه وأصحابى» رواه الترمذى. . والحديث غير مجمل ولا محتمل التأويل لتجذبه كل فرقة إلى ما تهواه بل قد بين النبى ﷺ الفرقة الناجية. بقوله: «على ما أنا عليه وأصحابى». يعنى الذين اهتدوا بهديهم وساروا بسيرهم وبذلك دل الحديث إلى أهله دلالة ظاهرة لا يتطرقها التأويل بتاتا ومعلوم أن أهله هم الذين يتبعون النبى ﷺ ويعملون بالكتاب والسنة فما للمجادل بعد قوله قول،

أو رأي . فالـدعـاوى إن لم تقم عليهـا بينـات يجدها أهلها حين التحقيق سرابـاً لقـول النبى ﷺ : «لـو يعطى النـاس بدعواهم لادعى ناس دماء رجـال وأمـوالهم ولكن البينـة على المـدعى واليمين على من أنكر» رواه البيهقى وغـيره هكـذا وبعضـه فى الصحيحـين . . وكـل من يدعى أن الحـديث حجـة له لو نظر إلى عمله بالإنصاف ثم طبقه بالكتاب والسنة لعلم علم اليقين لمن يشهد الحديث المتنازع فيه له أو عليه . قال تعالى : ﴿**فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور**﴾ اللهم أسمعنـا وأبصـرنـا الحق وارزقنـا اتبـاعه ولا تجعلنا من الغافلين ووفقنا لما تحب وتـرضى ومـا توفيقى إلا بالله العلى العظيم . فالجدل والتمنى إن لم يصحبهـما برهـان من الله تعـالى لم يغنيـا عن صاحبهما شيئا قال سبحانه وتعـالى : ﴿**ليس بأمـانيكم ولا أمـانى أهل الكتاب من يعمل سوءا يجز به**﴾ وسبب استمـرارهم فى الاختـلاف دائـما وأبدا هو عدم التحاكم إلى كتاب الله تعالى وسنة نبيه ﷺ وقد أمرنا الله تعالى أن نتحاكم إليهما إذا اختلفنـا فى شىء . بقـولـه تعالى : ﴿**فإن تنازعتم فى شىء فردوه إلى الله والـرسـول**﴾ ولكن هؤلاء تركـوا ذلـك واعتمـدوا لمقابليهم على الجدل وجعلوا الدين كالعادات يرى كل فريق منهم ما وجد عليه آباءهم وأهل بلدهم هو الحسن وهـو الحق عنـدهم بدون برهـان وغيره خطأ وقبيح ولو كان حقـا كما هو مشـاهـد فى العـادات ترى كل شخص يستحسن عادة بلده فى الغـالـب وإن كان غيرهـا خيرا منهـا كما جاء فى الحديث «إن بنى إسرائيل كانوا يعيبون موسى صلوات الله عليه لاغتساله مستترا عنهم ولم يغتسـل معهم عاريـا مثلهم» وأيضا بنو العراة الذين وجدوا سلفهم عراة يستحسنـون العـرى عن الكسـوة ويستقبحون الكسوة بل يعيبون أهلها وهلم جرا من أمثـال هذا ثم إنى لم أزل محتـاراً متعجبـاً زمنـاً طويـلاً من الحـالـة المـذكـورة مذ قصـدت بتوفيق الله تعالى فهم كتاب الله سبحانه

وتعالى وسنة نبيه ﷺ واطلعت على كتب الفرق المختلفة وصرت أسمع جدلهم حتى بدالى أن أكتب رسالة أذكر فيها شيئا من جدلهم وأدلتهم بصفة سؤ ال وجواب كالمناظرة وإن كنت لست أهلا للخوض فى مثل هذا البحث ولكن النفس إذا انشغلت بشيء لا تطمئن حتى تجده أو تفعله كما ذكر الله تعالى عن يعقوب صلوات الله عليه : ﴿**إلا حاجة فى نفس يعقوب قضاها**﴾ وينحصر بحث هذه الرسالة فى ثلاثة بحوث : البحث الأول : فى صفات الله تعالى هل الحق التسليم فيها بدون تأويل كما يقول السلف . أم الحق التأويل كما يقول الخلف . والثانى : التوسل بذات أهل الصلاح . هل هو أمر مشروع أم لا . والثالث : أحق التقليد المتمسك به اليوم أكثر الأمة؟ وهو العمل بما فى كتب المذهب سواء وافق ذلك الأدلة التى بين أيدينا . أم لا . أم الحق والواجب الأخذ بكتاب الله تعالى وسنة نبيه ﷺ . ثم بأثر الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين . ثم الأخذ بقول كل عالم بالأمور الثلاثة موثوق بعلمه ودينه بدون تقيد بأحد دون أحد فيما لم يوجد له النص من أحد الثلاثة السالفة الكتاب والسنة والأثر فسيكون الجدل المذكور الآتى ذكره فى الأوليين بين أهل المذاهب الأربعة عدا النجديين وبين أهل الحديث إلا مَنْ شذ منهم كابن حزم حيث إنه يؤول بعض الصفات . أما الجدل الثالث : فهو بين أهل الحديث وبين أهل المذاهب الأربعة الرائجة : الحنفى . والمالكى . والشافعى . والحنبلى وحاصل مذهب النجديين يتفق مع أهل الحديث فى العقائد والتوسل ويتفق مع أهل المذاهب الأربعة فى الفروع لأنهم مقلدون للإمام أحمد بن حنبل فى الفروع حقيقة إلا أن بعض أهل العلم منهم أخف تعصبا بالنسبة إلى غيرهم حيث يلاحظون الأدلة . ولا أتعرض للمذاهب الأخرى لأن الاختلاف الواقع بين المذكورين فيه ما دعو إلى العجب والأسف مما لا يحصى وأيضا هم الذين استمر بينهم

الجدل فى كل زمان ومكان وهم الذين اطلعت على كتبهم وحضرت بعض مجالس جدلهم دون غيرهم . ولا أتعرض أيضا لترجيح أى مذهب بل أفوض ذلك إلى من يطلع على هذه الرسالة من أهل العلم المنصفين غير الغالين ولا المتحيرين ولذلك سميتها «تحكيم الناظر فيما جرى من الاختلاف بين أمة أبى القاسم ﷺ» . فإذا قلت فى بحث الصفات والتوسل : قال السلفى أعنى به أهل الحديث والنجديين . وإذا قلت فيهما قال الخلفى اعنى به أهل المذاهب الأربعة عدا النجديين . وإذا قلت فى الفروع : قال السلفى أعنى به أهل الحديث فقط . وإذا قلت فيه قال المقلد اعنى به أهل المذاهب الأربعة المذكورة آنفا . وحين الشروع كنت قاصداً أن أكتب بحثا رابعا وهو بحث الاستغاثة بصالح الأموات وبالحى الحاضر فيما لا يستطيعه أحد إلا الله سبحانه وتعالى . ولكنى تركت ذلك لعدم وجود الأدلة من طرف المجيزين ذلك لأن المناظرة لابد لها من الاستدلالات المتكررة من الطرفين سواء كانت صالحة أم غير صالحة ولم أجد أدلة فى كتب المجيزين ولم أسمع منهم فى جدلهم عدا قولهم : إن الولى فلان ، فعل كيت وكيت وإن الأولياء فعلت كيت وكيت وتفعل كيت وكيت ولم يستدلوا على ذلك بشىء سوى . قوله تعالى : ﴿ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون﴾ وهذه الآية هى بشرى لأولياء الرحمن فى حق أنفسهم فقط ، ولم تفد ولم تشعر أنهم يدعون ويسمعون الدعاء ويجيبون الداعى ، وهذا أوان الشروع فى المقصود فالله المستعان ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم وعليه الاعتماد .

الجلسة الأولى فى بحث الصفات

قال السلفى : صف لى ربنا سبحانه وتعالى .

قال الخلفى : الله الحى القيوم ليس بعرض ولا جسم ولا جوهر.

قال السلفى : ما حملك على التأويل وما الدليل عليه؟

قال الخلفى : إنه مذهب جمهور علماء الخلف والدليل عليه ما سيأتى من عقيدة العلامة النسفى وشرحها للعلامة سعد الدين التفتازانى ص ٦٦ الله الحى القيوم القادر العليم السميع البصير الشائى المريد ليس بعرض لأنه لا يقوم بذاته ولا جسم لأنه متركب ومتحيز ولا جوهر لأنه اسم للجزء الذى لا يتجزأ وقال أيضا عبد الغنى النابلسى فى كفاية الغلام فى الصفحة الأولى :

معرفة الله عليه تفترض   بأنه لا جوهر ولا عرض

قال السلفى : كلامك هذا يقتضى نفى البارى سبحانه وتعالى عن الوجود بالكلية وإن لم تعتقد ذلك ، لأنك لم تترك شيئا يسمى باسم أبداً لأن أشياء المسميات فى الوجود والتى تسمى باسم ما تخلو من أمرين إما أجسام أو صفات وأنت نفيت عنه الجميع بالكلية والجزئية ونفى ذلك يقتضى نفيه لزوماً تعالى الله عما تقولون .

قال الخلفى : لا ، لم أنفه بل نزهته سبحانه من أن يوصف بصفات خلقه وهو فرد ذاتا وصفة .

قال السلفى : لا . لم تنزهه بل نفيته عن الوجود بتاتاً وأنت تظن أنك تحسن صنعاً . فالتنزيه يكون لشىء موجود فى الخارج لا لمجرد الخيال فى الذهن فإنه اسم بدون مسمى فالاسم لابد له من مسمى

والمسمى لا يخلو إمـا أن يكـون ذاتـا أو صفـة لا ثالث لهما وأنت نفيت أن يكـون البـارى أحـدهما بلازم وملزوم خلقتهـما من نفسك مع أن الصفة لابد لها من موصف تقوم به حيث إنها لا تقوم بنفسها.

قال السلفى : هل تعتقـدون صفـات الله لازمة له غير منفكة عنه أم لا .

قال الخلفى : نعم له صفــات أزليـة قائمـة بذاتـه وهى لا هو ولا غيره يعنى أن صفات الله ليست عين الذات ولا غير الذات هكذا قال العلامة النسفى فى ص ٧٧ وشرحها العلامة سعد الدين التفتازانى .

قال السلفى : هذا نحـو ما تقـدم وهـو يقتضى رفع النقيضين مع سلب الصفات بالكلية والمعدوم لا يكون صفة وكلامك هذا بالهذيان أقرب .

قال الخلفى : إذاً ماذا تقول فى صفات الله؟

قال السلفى : أقول كما أمر الله تعالى أن يقول فيه نبيه محمد ﷺ . قال تعـالى : **﴿قـل هو الله أحـد . الله الصمد . لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفـواً أحـد﴾** وقـال تعـالى : **﴿ليس كمثله شىء وهو السميع البصير﴾** وأعتقـد أن الله سبحـانـه وتعـالى موصـوف بجميع صفات الكمال التى وصف بها نفسه فى كتابه العزيز ووصفه بها النبى الكريم ﷺ بدون تأويل ولا تعطيل ولا تشبيه بأحد من خلقه ولا نعلم منه إلا ما علمنا ولم يكلفنا ما لا نعلم بل أنكر ونهى على من قال ما لا يعلم . قال الله تعالى منكرا : **﴿هاأنتم هؤلاء حاججتم فيما لكم به علم فلم تحاجون فيما ليس لكم به علم﴾** وقال : **﴿وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون﴾** وقال لنبيه الكريم : **﴿ولا تقف ما ليس لك به علم﴾** وقـالت المـلائكـة : **﴿لا علم لنا إلا ما علمتنـا﴾** وفى الحـديث : عن ابن عبـاس رضى الله عنهما عن النبى ﷺ

قال : «إنما الأمور ثلاثة : أمر تبين لك رشده فاتبعه وأمر تبين لك زيغه فأجتنبه وأمر اختلف فيه فكله إلى عالمه» ذكره الفلانى فى الإيقاظ أو ابن عبد البر فى كتاب العلم وقال الطحاوى الحنفى المولود عام ٢٣٩ هجرية فى عقيدته الطحاوية التى بين فيها عقائد السلف وذكر أنها عقيدة أهل السنة والجماعة على مذهب فقهاء الملة : أبى حنيفة النعمان بن ثابت الكوفى وأبى يوسف يعقوب بن إبراهيم الأنصارى ومحمد بن الحسن الشيبانى . فإنه ما سلم فى دينه إلا من سلم لله عز وجل ولرسوله ﷺ ورد علم ما اشتبه إلى عالمه ولا يثبت قدم الإسلام إلا على ظهر التسليم والاستسلام . ومن رام علم ما حظر عنه ولم يقنع بالتسليم فهمه حجبه مرامه عن خالص التوحيد وصافى المعرفة وصحيح الإيمان فيتذبذب بين الكفر والإيمان . والتصديق والتكذيب والإقرار والإنكار موسوساً تائهاً شاذاً لا مؤمناً مصدقاً ولا جاحداً مكذباً . فالعلم علمان : علم فى خُلق موجود وعلم فى خُلق مفقود . وإنكار العلم الموجود ، وطلب العلم المفقود كفر . ولا يثبت الإيمان إلا بقبول العلم الموجود وترك العلم المفقود ، وعن الربيع بن خيثم أنه قال ــ يا عبد الله ما علمك الله فى كتابه من علم فاحمد الله وما استأثر عليك به من علم فكله إلى عالمه ولا تتكلف فإن الله عز وجل يقول لنبيه ﷺ **﴿قل ما أسألكم عليه من أجر وما أنا من المتكلفين﴾** ذكره ابن عبد البر فى جامع بيان العلم .

قال السلفى : ماذا تقول فى قوله تعالى **﴿الرحمن على العرش استوى﴾** .

قال الخلفى : معنى ذلك أنه استولى وقهر وغلب ومعنى استوى واستولى واحد .

قال السلفى : ما حملك على التأويل وما الدليل عليه؟

قال الخلفى : إنــه مذهب جمهــور علماء الخلف والـدليـل عليـه والسبب الحامل عليه هو ما قاله أحمد بن موسى الخيالى فى حاشيته على شرح سعـد الـدين التفتـازانى ص ٨٤ لأن النقـل الـوارد فى الممتنعات العقلية يجب تأويله لتقدم العقل على النقل ، فإن قوله تعالى **﴿الرحمن على العــرش استــوى﴾** لدلالتـه على الجلوس المحـال على الله يجب تأويله بالاستيلاء ونحوه .

قال السلفى : تكلفت ياهــذا وألحــدت وارتجلت ببـاطـل . قال تعـالى : **﴿وذر الـذين يلحـدون فى أسمـائـه﴾** فررت من القبيح حسب فهمـك الخـاطىء لتحسن صنعـاً ووقعت فيما هو أقبح منه . وجددت بما زعمته قول كفار قريش بل هو أقبح مما زعموه . أخبر سبحانه وتعالى أنهم قالوا **﴿لو نشاء لقلنا مثل هذا﴾** فكفار قريش ادعو المثلية وعجزوا عنها . ثم لم يزعموا أنهم أتوا بها زعموه مثلك . وثانيا لم يزعموا أنهم لو شاءوا لأتوا بأفضل مما أنزل الله على رسوله لعلمهم أنهم عاجزون عن المثلية . وأما أنت ما أكتفيت بالمثليـة بل أدعيت أنـك أتيت بأفضـل مما أنزل الله على رسـولـه محمـد ﷺ . فلذلـك صرفت كلام إلـه العـالمين وأوجبت تقديم عقلك على كتابه العزيز وسنة نبيه ﷺ ما أقبحه من قول وأسوأه وأبشعه وأشنعه . ولا يظن مسلم مثل هذا القول يصدر ممن يزعم الإسلام فضلا عن أن يصـدر ممن يدعى العلم ويـرى أنـه أهدى سبيلا . هاك أنظر إلى فوائد العقول وما آلت إليه وأثمرته لأهلها الذين قدموها على حكم الله سبحـانـه وتعـالى قال إبليس اللعـين شيـخ مشايخ من قدم العقل على النقـل : **﴿أأسجـد لبشر خلقته من طين﴾** فعصى ربه لما خالف عقله ما أمـره به ربـه فلذلـك أصبـح من المطـرودين من رحمـة ربـه . وقـال عباد الأوثـان : **﴿أبعث الله بشـراً رسـولا﴾** أنكرت وكرهت عقولهم أن يكون

بشراً رسولاً . ورضيت أن يتخذوا من الأحجار والأخشاب التى صنعتها أيـديهم أربـابـا تعبـد من دون الله . وهذا قليل من الكثير . فيجب على العقلاء اتباع النقل ولا عكس . وكفى للعقل من الخير والشرف أن يفقه ما أنزل الله ويعقل صاحبه فيها قال الله تعالى ورسوله ﷺ . وبئس العقل المعـارض ربـه . قال على بن أبى طالب كرم الله وجهـه : «لوكان الدين بالرأى لكان أسفل الخف أولى بالمسح من أعلاه» رواه أبو داود . فما دام يغنى عندكم العقل عن النقل فى صفات الله تعالى بل ويقدم عليه فيه فمن باب أولى أن يغنى فى غيره . فإذا كان الأمـر كذلـك فلماذا أرسلت الـرُّسـل إلى العقـلاء؟ ولم أنـزلت الكتب على الـرُّسُـل صلوات الله عليهم؟ . وهم أعقـل العبـاد وأرشـدهم . أكـانـوا يرشـدون العباد لعلة بعقولهم المحددة بدون وحى . ولماذا يقول سبحانه وتعالى **﴿ولا تقف ما ليس لك به علم﴾** ويقـول تعـالى **﴿وأنـزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم ولعلهم يتفكـرون﴾** فأى فائـدة يزدادها العقلاء بالبيان مادام كل ذى عقـل مستغنيـا بعقله عن الـذكـر بل ومقـدما على الذكر . ولماذا جعل الله عذرا للعقلاء عدم إرسال الرسل إليهم . بقوله تعالى **﴿وما كنا معـذبـين حتى نبعث رسولا﴾** فجعل إرسال الرسل قاطعا لعذرهم دون العقـل . وقـال تعالى **﴿رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجـة بعـد الـرسـل﴾** وقـال **﴿ألم يأتكم نذيـر﴾** ولم يقـل ألم نرزقكم العقـل . وألم تكـونوا عقلاء ويحجهم بعقولهم . وأيضا لو يغنى العقل عن النقـل فلماذا يقـول العقلاء حين يرون العذاب والهلاك : **﴿لولا أرسلت إلينـا رسـولا فنتبع آياتك من قبل أن نذل ونخذى﴾** ولم يقولوا لولا رزقتنا العقـل فنتبـع إلى آخـره . إلا أن تقولوا : القائلون هذا القول هم من لا عقـل لهم فأقـول المجنـون ونحـوه مرفـوع عنهم القلم . قال النبى ﷺ : «رفـع القلم عن ثلاثـة عن النائم حتى يستيقظ وعن الصبى حتى يحتلم

وعن المجنـون حتى يعقـل» رواه أحمد وقال فى الحديث الطويل : «وليس أحد أحب إليه العذر من الله من أجل ذلك أنزل الكتب وأرسل الرسل» رواه مسلم . فجعـل سبحـانـه وتعالى إرسال الرسل حجة على العقلاء وعـدم إرسـال الـرسل عذراً لهم . ثم أعلم أن العقل لا يصلح أن يكون حجـة لازمـة على كل واحـد لأن العقـول تختلف اختلافا كثيراً أكثر من اختـلاف الألسنـة والألـوان وليس لها ضابط يضبطها ولا هى محصورة فى نوع واحـد لتتـوحـد . ترى عقل زيد يستحسن أشياء وعقل بكر يستقبح ذلـك . ومـا من أمـة إلا ولهـا عقل يخالف عقل أمة أخرى فلذلك تشتت أديـان المتعبـدين بالعقـول وخـالفـوا الـرسـل والمنقول . وكانت لقريش عقليات . وقالوا ﴿أجعل الآلهة إلها وحدا﴾ أنكرت عقولهم أن يكون إله واحـد . والله تعـالى يقـول ﴿لـو كان فيهـما آلهة إلا الله لفسدتا﴾ وكانت لليهـود والنصـارى عقليـات . وتـرى كل واحد منهم يستقبح دين الآخر ﴿وقـالت اليهـود ليست النصـارى على شىء وقـالت النصارى ليست اليهـود على شىء﴾ وكـانت للفـرس عقليـات . وللمجـوس عقليات . والحـاصـل أن كل فريق منهم يسفه عقل الفريق الآخر ودينه . وأهل كل زمان لهم عقول خلاف عقل من سلفهم وهلم جرا من أمثال هذا . وترى بعض الـذين اقتـدوا بعقـولهم ينكـح المحـارم . وبعضهم يحرم نكـاح الأقارب فضلا عن المحارم . وهذا شأن العقل . قال تعالى ﴿ومن أضل ممن اتبـع هواه بغـير هدى من الله﴾ وكـان أكمـل النـاس عقلاً أصحاب رسـول الله . ولم يعـارضـوا به النصـوص الشرعية بل كانوا يكرهون ذلك أشـد الكـراهيـة . ومن ذلـك لما حدث عمران بن حصين عن رسول الله ﷺ : بقوله «إن الحياء خير كله» فعارضه المعارض بقوله إن منه وقاراً ومنه ضعفاً . فاشتد غضب عمران بن حصين وقال : أحدثك عن رسول الله ﷺ . وتقول منه كذا ومنه كذا . وظن أن المعارض زنديق . فقيل له يا أبا

نجد لا بأس به . ذكره ابن القيم فى الصواعق . ونحو هذا أكثر من أن يحصى ومعلوم فلا نشتغل بذكره . وكان رسول الله ﷺ أكمل الناس عقلاً على الاطلاق . فلو وزن عقله بعقول من فى الأرض لرجحها ومع ذلك أخبر سبحانه وتعالى فى كتابه العزيز أنه قبل الوحى لم يدر ما الكتاب ولا الإيمان . قال تعالى **﴿وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا ما كنت تدرى ما الكتاب ولا الإيمان ولكن جعلناه نورا نهدى به من نشاء من عبادنا﴾** فإذا كان أعقل العباد ما كان يدرى ويدرك بعقله ما الكتاب وما الإيمان فكيف يحصل لسفهاء العقول الاهتداء إلى حقائق الإيمان بمجرد عقولهم الأفلاطونية بدون نصوص الوحى؟ حتى اهتدوا بتلك الهداية إلى معارضة بين العقول ونصوص الأنبياء صلوات الله عليهم . قال الله تعالى لنبيه ﷺ **﴿قل إن ضللت فإنما أضل على نفسى وإن اهتديت فبما يوحى إلي ربي إنه سميع قريب﴾** فجعل سبحانه وتعالى الهداية منه بالوحى لا كما تزعمون أنتم أن العقل يهدى السبيل **﴿لقد جئتم شيئا إدًّا تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هدا﴾** وقد أحسن القائل :

حاشا النصوص من الذى رميت به	من فرقة التعطيل والتمويه
كلا ولا رد النصوص تعمدا	حذرا من التجسيم والتشبيه

وأما قولك معنى استوى واستولى واحد هذه اللغة خاصة بك وبأمثالك لم تسبقوا بها وأهل اللغة ينكرون عليكم ذلك . ويقولون لم يوجد ذلك فى كتب اللغة لا فى القاموس ونحوه ولا فى دواوين العرب . وقد سئل ابن الأعرابى هل يصح أن يكون استوى بمعنى استولى . فقال لم تعرف ذلك العرب وهو من أكابر أئمة اللغة .

وأما قولك إنه مذهب جمهور علماء الخلف فخطأ بين لأن العلماء لا تعد أهل الكلام من حزبهم . قال ابن عبد البر فى جامع بيان العلم : أجمع أهل الفقه والآثار من جميع الأمصار أن أهل الكلام أهل بدع وزيغ ، ولا يعدون عند الجميع فى جميع الأمصار فى طبقات العلماء وإنما العلماء أهل أثر والتفقه فيه

قال الخلفى : بل قد جاء استوى بمعنى استولى وقهر ومنه قول الشاعر:

قد استوى بشر على العراق   من غير سيف ولا دم مهراق

قال السلفى : وعلى فرض نقل بيت الشعر لا يكون ذلك حجة ودليلا على ما تدعيه . لأجل أن بشراً لم يكن مستولياً وملكاً على العراق بل المستولى والملك عليه أخوه عبد الملك بن مروان وبشر كان نائبا عنه عليها ولم يكن ينازع أخاه فى ملك . فعلى هذا يكون معنى البيت إن صح نقله عبارة عن الجلوس على كرسى الملك بالنيابة كما هى عادة النواب . والذى أردت أن تفر منه وقعت فيه . وبحثى معك فيه الآن باعتبار اللغة . وأما من جهة الشرع والسلف الصالح فلم ينقل عنهم تأويل الاستواء ولم يتصل بنا بتاتا فضلا عن أن يوجبوه بل كانوا يكرهونه أشد الكراهية . قال حنبل قلت لأبى عبد الله ما معنى قوله تعالى ﴿وهو معكم﴾ ؟ قال علمه محيط بالكل وربنا على العرش بلا حد وقال أيضا رحمه الله : إنه لا يفلح صاحب الكلام أبداً ولا تكاد ترى أحداً نظر فى الكلام إلا وفى قلبه دغل (الدغل محركة فساد وريبة) ذكره ابن عبد البر فى جامع بيان العلم . وقال يونس بن عبد الأعلى : سمعت الشافعى يوم ناظر حفص الفرد قال لى يا أبا موسى لأن يلقى الله عز وجل العبد بكل

ذنب ما خلا الشرك خير من أن يلقاه بشيء من الكلام . لقد سمعت من حفص كلاما لا أقدر أن أحكيه . ذكره ابن عبد البر فى جامع بيان العلم . وذكر عنه أيضا : أنه أوصى أنه يشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له فذكر الوصية إلى أن قال : وأنه تعالى فوق عرشه . ذكره الحاكم والبيهقى فى مناقب الشافعى رحمه الله تعالى . وقال أيضا التى أنا عليها ورأيت أهل الحديث عليها مثل سفيان ومالك وغيرهما الإقرار بشهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ﷺ إلى أن قال وإن الله فوق عرشه فى سمائه يقرب من خلقه كيف يشاء وينزل إلى سماء الدنيا كيف يشاء . ذكره الحافظ عبد الغنى فى كتاب اعتقاد الشافعى . وقال أبو مطيع الحكم بن عبد الله البلخى سألت أبا حنيفة عمن يقول لا أعرف ربى فى السماء أم فى الأرض قال قد كفر. لأن الله تعالى يقول **﴿الرحمن على العرش استوى﴾** وعرشه فوق سبع سماوات . وذكر ابن أبى خيثمة قال حدثنا محمد بن شجاع البلخى قال سمعت الحسن بن زياد اللؤلؤى وقال له رجل فى زفر بن الهذيل أكان ينظر فى الكلام؟ فقال سبحان الله ما أحمقك . ما أدركت مشيختنا زفر وأبا يوسف وأبا حنيفة ومن جالسناه وأخذنا عنه يهمهم غير الفقه والاقتداء بمن تقدمهم . ذكره ابن عبد البر فى جامع بيان العلم . وصح عن عبد الله بن المبارك أنه قيل له بم نعرف ربنا؟ قال : بانه فوق سماواته على عرشه بائن من خلقه ولا نقول كما قالت الجهمية إنه هاهنا يعنى الأرض . وصح عن الإمام محمد ابن إسحاق بن خزيمة أنه قال : من لم يؤمن بأن الله فوق سماواته على عرشه بائن من خلقه . وجب استتابته فإن تاب وإلا ضربت عنقه وطرح فى المزبلة . رواه الحاكم عنه فى علوم الحديث والتاريخ . وقصة أبى يوسف مشهورة فى إستتابته لبشر المريسى لما أنكر أن يكون الله فوق عرشه . رواه عبد الرحمن بن أبى حاتم وغيره . وقال مالك : الله فى

السماء وعلمه فى كل مكان . ذكره الطلمنكى وابن عبد البر وغيرهما وذكر ابن عبد البر فى جامع بيان العلم وقد روينا عن مالك بن أنس والأوزاعى وسفيان بن سعيد وسفيان بن عيينة ومعمر بن راشد فى الأحاديث فى الصفات أنهم كلهم قالوا : أمروها كما جاءت . نحو حديث النزول وحديث أن الله خلق آدم على صورته وأنه يدخل قدمه فى جهنم وما كان مثل هذه الأحاديث . قال منداد المصرى المالكى : قال فى كتاب الإيجارات من كتابه فى الخلاف قال مالك لا تجوز الايجارات فى شىء من كتب الأهواء والبدع والتنجيم . وذكر كتباً ثم قال وكتب أهل الأهواء والبدع عن أصحابنا هى كتب أصحاب الكلام من المعتزلة وغيرهم ويفسخ الايجار فى ذلك وكذلك كتب القضاء بالنجوم وعزائم الجن وما أشبه ذلك . وقال فى كتاب الشهادات فى تأويل قول مالك لا تجوز شهادة أهل البدع وأهل الأهواء . قال وأهل الأهواء عند مالك وسائر أصحابنا أهل الكلام فكل متكلم فهو من أهل الأهواء والبدع أشعرياً كان أو غير أشعرى . ولا تقبل له شهادة فى الإسلام أبداً ويهجر ويؤدب على بدعته فإن تمادى عليها استتيب منها . وقال مالك أرأيت إن جاء من هو أجدل ويدع دينه كل يوم لدين جديد . ذكره ابن عبد البر فى جامع بيان العلم . قال أبو عمر ليس فى الاعتقاد كله فى صفات الله وأسمائه إلا ما جاء منصوصاً فى كتاب الله أو صح عن رسول الله ﷺ . أو أجمعت عليه الأمة وما جاء من أخبار الآحاد فى ذلك كله أو نحوه يسلم له ولا يناظر فيه . وكان مالك بن أنس يقول الكلام فى الدين أكرهه ولم يزل أهل بلدنا يكرهونه وينهون عنه نحو الكلام فى رأى جهم والقدر وكل ما أشبه ذلك ولا أحب الكلام إلا فيما تحته عمل فأما الكلام فى دين الله وفى الله عز وجل فالسكوت أحب إلي لأني رأيت أهل بلدنا ينهون عن الكلام فى الدين إلا فيما تحته عمل . قال أبو عمر قد بين مالك رحمه الله أن

الكـلام فيـما تحته عمل هو المباح عنده وعند أهل بلده يعنى العلماء منهم وأخـبر أن الكـلام فى الـدين نحـو القـول فى صفات الله وأسمائه وضرب مثـلا : فقـال نحـو قول جهم والقـدر قال ابن عبد البر والذى قاله مالك رحمـه الله . عليـه جماعـة الفقهـاء والعلماء قديماً وحديثاً من أهل الحديث والفتـوى وإنـما خالف ذلـك أهل البدع . قال الشوكانى فى فتح القدير: أخـرج الـلالكائى عن مالك أن رجلا سأله كيف استوى على العرش؟ فقــال الكيف غير معقـول : والاستـواء غير مجهـول والإيـمان به واجب والسؤ ال عنــه بدعـة ، فهـل ترى أن مالكـا ونحـوه ومن كان قبلهم من السلف الصـالـح كانوا يجهلون أمر دينهم؟ أم لم تكن لهم عقول يدركون بها ما أدركتم . فعجزوا عن التأويل لذلك . وكانوا يدفعون السائل بنحو ما سلف تخلصاً منه . أم كانوا عالمين بالتأويل وفضله ولكن قصروا عما هو واجب عليهم أن يبينوه للأمة حتى جئتم أنتم وأرشدتموها أوعلى الأصح أضللتمـوهـا . وأيضـا يلزم من تأويلكم استوى باستولى وقهر وغلب أن الله سبحـانـه وتعالى كان له منازع ينازعه حتى غلبه سبحانه وتعالى كما هو صفته أنه غالب على كل شىء ثم إن المنازع المغلوب ما يخلو إما أن يكون العرش نفسه أو بعض خلقه غير العرش واعترفت أن الكل خلق وعبيـد له ولا قدرة لهم ينـازعون بها خالقهم سبحانه وتعالى . أو إلها آخر غيره وأيضا اعترفت أن لا إله إلا هو سبحانه وتعالى . قال تعالى : **﴿لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا﴾** فما دمت معترفاً أن لا إله إلا هو وكل شىء عبيـد له ولا قدرة للعبيـد ينـازعـون بها خالقهم سبحانه ظهر لك بطلان تأويلك وأصبـح لا معنى له إلا أن تقـول إنـه إعـلام من الله لعبيده بأنه غلب على عرشــه . فأقــول لك إنهم لم يزدادوا به علما لعلمهم أن ربهم غالب على كل شىء ولا يئـوده شىء وأنـه إلـه العالمين والعرش من جملة العـالم وأيضـا من المعلوم لغـة وعـرفا لا يقال استوى على الشىء إلا لمن

كان غير متمكن منـه . ثم تمكن منـه . والله سبحـانـه وتعـالى كل شيء خلقـه وتحت تصـرفـه من قبـل ومن بعـد . والحـاصل أوقعت نفسك فى العناه . ورجعت بخفى حنين وغير سالم أنظر وأسمع إلى أسف من اتبع العقـلاء مخالفـاً لله ولـرسله صلوات الله عليهم . قال تعالى **﴿يوم تقلب وجـوههم فى النـار يقولون يا ليتنا أطعنا الله وأطعنا الرسولا . وقالوا ربنا إنا أطعنا سادتنا وكبراءنا فأضلونا السبيلا﴾** حين عاينوا تأويل ما جاءت به الـرسـل اعـترفـوا بأن ساداتهم وكـبراءهم أربـاب العقـول أضلوهم بعقولهم عن السبيل وتمنوا ليتهم اتبعوا الرسل . قال تعالى **﴿ويوم يعض الظالم على يديه يقول يا ليتنى أتخذت مع الرسول سبيلا يا ويلتى ليتنى لم أتخذ فلانا خليلا لقد أضلنى عن الذكر بعد إذ جاءنى وكان الشيطان للإنسان خذولا﴾** وقال تعالى **﴿ولو ترى إذ الظالمون موقوفون عند ربهم يرجـع بعضهم إلى بعض القـول فيقـول الـذين استضعفـوا للذين استكـبروا لولا أنتم لكنـا مؤمنـين . قال الـذين استكـبروا للذين استضعفـوا أنحن صددنـاكم عن الهدى بعد إذ جاءكم بل كنتم مجرمين وقـال الـذين استضعفـوا بل مكـر الليل والنهار إذ تأمروننا أن نكفر بالله ونجعل له أندادا﴾** إلى آخر الآية هذه ثمرة تقديم العقل على ما جاءت به الـرسـل صلوات الله عليهم وأمـا اتبـاع الـرسل فلم يندموا لاتباعهم الـرسـل بل يحمدون الله . قال تعالى **﴿وقالوا الحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله لقد جاءت رسل ربنا بالحق﴾** الآية .

قال الخلفى : هؤلاء الـذين ينـدمـون على ما صنعـوا من طاعـة ساداتهـم وكـبرائهم لم يؤمنـوا بالأنبيـاء أمـا نحن فمؤمنـون بهم . فاستدلالك على المسلمين بما نزل على الكفار استدلال خاطىء وقياس مع الفارق .

قال السلفي : يقتضي الإيمان بالأنبياء اتباع ما جاءوا به مطلقا سواء فيما وافق العقل . أم لا . وأما من يقول نتبعهم فيما وافق العقل ونخالفهم فيما خالف العقل ، هذا مؤمن بالبعض وكافر بالبعض ، وبالحقيقة هو مؤمن الأصل بالعقل . فإذا كان الأمر كذلك فما أنتم منهم ببعيد حيث لم تعملوا بشيء مما جاءت به الأنبياء صلوات الله عليهم . إلا باعتبار موافقة العقل ولم تطبقوا القول بالفعل وقد أحسن القائل :

القول ما صدقه الفعل والفعل ما صدقه القول

قال تعالى : **﴿ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله﴾** .

قال الخلفي : ماذا تقول أنت في قوله تعالى **﴿الرحمن على العرش استوى﴾** .

قال السلفي : أقول كما قال الله تعالى وقال رسوله ﷺ . والسلف الصالح : إنه على عرشه بائن من خلقه بدون تكييف وتمثيل بأحد من خلقه غني عن العرش فما دونه وكل شيء فقير إليه ولا يحيط به عرشه سبحانه وتعالى . وقد ثبت أنه على عرشه في سمائه بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية . ولا يجهلها ويردها إلا من جهل الكتاب والسنة وإن لقب عالما . لأنه في الحقيقة جاهل لجهله بكتاب ربه وسنة نبيه ﷺ وإذ لا يُسمّى شرعا غير هما علما . كما قال عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما (العلم ثلاثة أشياء : كتاب ناطق ، وسنة ماضية . ولا أدري) أو يَعْلَمَهُما ولكنه مكابر للحق لتقوية ما يهواه . أو أمي لا يعلم شيئا إلا أمانيّ إنما ينعق تبعا لغيره كالفروج يصيح تبعا للديكة . قال تعالى **﴿ومن أصدق من الله قيلا﴾ ﴿إن ربكم الله الذى خلق السموات والأرض فى ستة أيام ثم استوى على العرش﴾** وقال **﴿تنزيلا ممن خلق الأرض والسموات العلى الرحمن على العرش استوى﴾** وقال **﴿الذى**

خلق السموات والأرض وما بينهما فى ستة أيام ثم استوى على العرش الرحمن﴾ وقال ﴿ثم استوى إلى السماء وهى دخان﴾ وقال ﴿ثم استوى إلى السماء فسواهن سبع سموات﴾ وقال ﴿يدبر الأمر من السماء إلى الأرض ثم يعرج إليه﴾ وقال ﴿إليه يصعد الكلم الطيب﴾ وقال ﴿إنى متوفيك ورافعك إلى﴾ وقال ﴿وما قتلوه يقينا بل رفعه الله إليه﴾ وقال فى الملائكة ﴿يخافون ربهم من فوقهم﴾ وقال ﴿ذى المعارج تعرج الملائكة والروح إليه﴾ وقال ﴿يا هامان ابن لى صرحاً لعلى أبلغ الأسباب أسباب السموات فأطلع إلى إله موسى وأنى لأظنه كاذبا﴾ إلى آخر ما فى القرآن العظيم مما بهذا المعنى . ذكر سبحانه وتعالى الاستواء والعلو وأنه فى السماء فى القرآن فى مواضع كثيرة كما ترى . ولم يذكر فيها فى موضع واحد منها ما يخالف الحقيقة اللغوية . وأيضا لم يبين ما يخالف ذلك نبيه الذى أرسله رحمة للعالمين . وقال تعالى ﴿لتبين للناس ما نزل إليهم﴾ إذ هو مأمور بتبليغ المعنى كما أمر بتبليغ اللفظ . بل المعنى أهم من اللفظ حيث هو المقصود من اللفظ . اللفظ كالاسم . والمعنى كالمسمى . فإذا قلت زيد لم يقصد الحروف التى هى : ذاى . وياء ، ودال . بل تعنى الشخص المسمى بزيد . فغير ممكن شرعا وعقلا أن يكتم رسول الله ﷺ عن أمته ما هو أصل الإيمان وغاية المعرفة . ويعلمهم أمر دنياهم والعادات ويبالغ فى ذلك حتى قالت أعداؤه كفار قريش لسلمان الفارسى رضى الله عنه : إنا نرى صاحبكم يعلمكم حتى الخراءة . فقال لهم : «أجل . لقد نهانا أن يستنجى أحدنا بيمينه أو يستقبل القبلة بغائط أو بول» أخرجه مالك وأبو داود والترمذى والنسائى . ومما جاء عن النبى ﷺ فى ذلك حديث عن أبى رزين العقيلى . قال قلت يا رسول الله ﷺ أين كان ربنا قبل أن يخلق السموات والأرض «قال : كان فى عماء ما فوقه هواء وما تحته هواء ثم

خلق العرش ثم استوى عليه» رواه أبو داود وابن ماجه وإسناده حسن.
وعن إبـراهيم التيمى عن أبيـه عن أبى ذر قال: قال رسـول الله ﷺ: «أتـدرى أين تغـرب هذه الشمس. قلت الله أعلم ورسـوله. ﷺ قال: فإنهـا تذهب حتى تسجـد تحت العـرش عند ربها» رواه البخارى. وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لما قضى الله الخلق كتب فى كتـابـه فهـو عنده فوق العرش أن رحمتى سبقت غضبى» أخرجه الترمذى والشيخان. وعن معاوية بن الحكم السلمى قال كانت لى غنم بين أحد والجويينة فيها جارية لى فاطلعتها ذات يوم فإذا ذئب قد ذهب منهـا بشـاة وأنـا رجـل من بنى آدم فأسفت فصككتهـا فاتيت النبى ﷺ فذكـرت ذلـك له فعظم ذلـك فقلت يا رسـول الله أفـلا اعتقهـا. قال: أدعهـا. فدعـوتهـا «فقـال لها: أين الله؟ قالت فى السماء. قال: من أنا؟ قالت أنت رسول الله. قال: إعتقها فإنها مؤمنة» حديث صحيح. رواه جماعـة وأخـرجـه مسلم وأبـو داود والنسائى وغير واحد من أئمة الحديث بألفـاظ مختلفـة متحـدة المعنى. أنظـر بعينى قلبـك واعتـبر إن كنت ذا بصـيرة. أولا. إلى سؤال النبى ﷺ للجـاريـة بأين الله ثم إقـراره إياها حين قالت إنه فى السماء، ثم جعل منها علامة دالة على محض الإيمان.
وعن أبى هريـرة رضى الله عنـه أن رسول الله ﷺ قال: «يتعاقبون فيكم ملائكـة بالليـل وملائكة بالنهار. ويجتمعون فى صلاة العصر ثم يعرجون إليـه الـذين باتـوا فيكم فيسألهم وهـو أعلم بهم كيف تركتم عبـادى؟ فيقـولـون أتينـاهم يصلون وتركناهم يصلون» متفق عليه. وعن عبد الله ابـن عمـرو بن العـاص رضى الله عنهـما. أن رسـول الله ﷺ قال: «الـراحمـون يرحمهم الـرحمن إرحموا من فى الأرض يرحمكم من فى السماء» أخـرجـه أبو داود والترمذى وصححه. وعن أبى موسى الأشعرى رضى الله عنـه قال: قال رسـول الله ﷺ: «إن الله لا ينـام ولا ينبغى له أن ينام

يخفض القسط ويرفعه . ويرفع إليه عمل الليل قبل النهار وعمل النهار قبل الليل» متفق عليه . وحديث الإسراء الطويل المعروف المتفق عليه «أن رسول الله ﷺ عرج به من بيت المقدس إلى السموات . ووجد فى كل سماء نبيا ووجد فى السادسة موسى عليه السلام . وفى السابعة إبراهيم عليه السلام . ثم رفع إلى سدرة المنتهى . وكان يتردد بين موسى وربه لخفض الصلوات حتى رجعت من خمسين إلى خمس . والحاصل أن الآيات والأحاديث صريحة . بإن الله فى السماء دون الأرض . ولكن لا يعقلها إلا من له قلب سليم ولم يتخذ قيل وقال دينا . وقد أمرها السلف الصالح على ظاهرها معتقدين بأن الله على عرشه كما أخبر وأخبر نبيه الذى هو أعلم العباد به . وكان بعض أصحاب النبى ﷺ يذكرون بين يديه أن الله فوق عرشه نثرا وشعرا ومن ذلك كانت زينب رضى الله عنها تقول للنبى «زوجنيك الرحمن من فوق عرشه» أخرجه البخارى . وعن أبى حيان عن أبى حبيب بن أبى ثابت أن حسان بن ثابت انشد النبى ﷺ :

شهدت بإذن الله أن محمدا رسول الله فوق السموات من عل

وجاء فى حديث عبد الله بن رواحة الذى صححه ابن عبد البر وغيره :

وإن العرش فوق الماء طاف وفوق العرش رب العالمين

وهذه الفوقية هى تفسير الأستواء المذكور فى القرآن والسنة المطهرة وهذه الآثار قد أقرها النبى ﷺ كما ترى ولم ينكر عليهم وعدم إنكاره دليل التشريع . وإن ما قالوه حق . إذ شرعه ثلاثة : قول ، وفعل ، وإقرار . ولو كانت هذه الألفاظ غير معنية حقيقتها . وحقها أن تؤول على خلاف ظاهرها لبين لهم المراد منها ولم يقرهم على الباطل . إذ هو مأمور بالبيان

كما سبق آنفا وهو أرحم بأمته من أنفسهم من أن يقرهم على الخطأ. ولو كان فى التأويل خير لسبقتنا إليه الصحابة رضوان الله عليهم. فما من حسنة إلا وقد سبقونا إليها. وكل من زعم إنه أتى بحسنة على خلاف ما كانوا عليه فحسنته سيئة وهو ضال مضل مخطىء السبيل كائنا من كان. لقول النبى ﷺ: «ستفترق أمتى على ثلاث وسبعين ملة كلها فى النار إلا ملة واحدة. قالوا: من هى؟ قال: من على ما أنا عليه وأصحابى» رواه الترمذى وهذا الجزء الأخير من الحديث الذى ذكرته بأكمله فى أول الصفحة. ولو فرضنا أن الله سبحانه وتعالى لم يخبرنا فى كتابه العزيز أنه على عرشه واختلفت العباد بمحض العقول بأين الله قال بعضهم: إنه فى السماء وهى سكنى الملائكة وأيضا اشراف الناس يسكنون العلويات من المساكن فى الغالب. وقال البعض الآخر: لا بل إنه فى الأرض فى كل مكان منها وهى سكنى الإنس والجن. وفيها الحمامات والمجازر والكنف والمراحيض. ومثل هذه الأماكن لا تليق لسكنى أخبث شخص إنسى ولا يرضى بها. فهل ترى قد نزه الله سبحانه وتعالى. من قال منهم إنه فى السماء. أم من قال منهم إنه فى الأرض فى كل مكان منها. ومن جملة ذلك الأماكن المذكورة. تعالى الله عما تصفون أترضون لربكم ما لا ترضون لأنفسكم. إن هذا شىء عظيم.

قال الخلفى: إذاً ما تقول فى قوله تعالى ﴿وهو معكم﴾ ؟

قال السلفى: نعم إنه معنا بمعية هو أعلم بها كما قال الشافعى فيما سلف. يقرب من خلقه كيف يشاء ويجوز لى أيضا أن أقول كما قال بعض السلف إنه مع عباده بعلمه وهو بائن من خلقه.

قال الخلفى: أنكرت على التأويل. وأولت. عار عليك أن تنه عن خلق وتأتى مثله. فعليه صرنا نحن وأنتم سواء فى التأويل وانتهى

النزاع بيننا .

قال السلفى : ليس سواء أنا وأنت شتان بين متبع ومبتدع . أنت مبتدع غير متبع . بل تقتدى بمحض عقلك وسلفك فيه إبليس كما سبق آنفا قال تعالى **﴿أفمن كان على بينة من ربه كمن زين له سوء عمله واتبعوا أهواءهم﴾** وقال تعالى **﴿ومن أضل ممن اتبع هواه﴾** وأما أنا فمن فضل الله على أنى متمسّك بكتاب الله تعالى . وسنة نبيه ﷺ . والسلف الصالح الذين وصلنا الدين بهم . ويلزمنا اتباعهم . سلّمت حيثما اسلموا . وأولت حيث ما أولوا متبعا لهم غير مبتدع . وقد جاء عنهم بنقل صحيح تفسير الآية **﴿وهو معكم﴾** إنه بعلمه مع عباده . عن حبر الأمة ابن عم النبى ﷺ عبد الله بن عباس رضى الله عنهما الذى دعا له رسول الله ﷺ بأن يفقهه الله فى الدين . ويعلمه التأويل . أى التفسير . وقد نقل عن بعض أهل العلم أن تفسير الصحابى بمنزلة الحديث المرفوع . ومنهم أبوعبد الله الحاكم قال فى مستدركه : تفسير الصحابى عندنا فى حكم المرفوع . إلى هنا حسب من له قلب سليم من الأدلة . . .

قال السلفى : ما تقول فى قوله تعالى **﴿إليه يصعد الكلم الطيب﴾** وقوله **﴿ذى المعارج تعرج الملائكة والروح إليه﴾** وقوله **﴿ويبقى وجه ربك﴾** وما فى معنى هذا : وقول النبى ﷺ «إن الله خلق آدم على صورته» إلى آخر ما جاء بمعنى هذا فى السنة؟

قال الخلفى : أقول كما قال علماء الخلف : قال العلامة سعد الدين التفتازانى فى شرحه على عقيدة النسفى ص ٧٤ أما معنى صعود الكلم الطيب إليه : كونه مقبولاً عنده . ومعنى عروج الملائكة إليه : عروجهم إلى موضع يتقرب إليه بالطاعة . ومعنى **﴿يبقى وجه ربك﴾** : ذاته . ومعنى يد الله : قدرته ، ومعنى على عينى : أى بمر أى منى أى

بعلمى وحفظى . ومعنى إتيان الرب سبحانه وتعالى : إتيان أمره أو عذابه . ومعنى خلق آدم على صورته : أى على صفاته من العلم والقدرة والإرادة وغير ذلك .

قال السلفى : لماذا أولت الآيات والحديث وما الدليل عليه وما حملك على التأويل؟

قال الخلفى : هكذا قال علماء الخلف تنزيها لله سبحانه وتعالى ولئلا يوصف سبحانه وتعالى بصفات المخلوق ويشبه بهم كتشبيهكم .

قال السلفى : التنزيه يكون بالتصديق والتسليم بدون معارضة بالتأويل والتعطيل . ولا يكون بالتكذيب والتعطيل كما تصنعون أنتم . أخبر سبحانه وتعالى أنه فى سمائه على عرشه . فقلتم لا . وأخبر أن له وجها فقلتم لا . وأخبر أن له يداً فقلتم لا . وأخبر أن له عيناً فقلتم لا . وأخبر نبيه ﷺ أنه ينزل إلى سماء الدنيا فقلتم لا . وأخبر أن له قدما فقلتم لا . وأخبر أنه يرضى ويغضب فقلتم لا . وأخبر أنه يضحك فقلتم لا . فالحاصل عارضتموه فى جميع صفاته . ووصفتموه من عند أنفسكم بصفات خيالية . فهل عندكم من علم بذلك فتخرجوه لنا يشهد لكم على ما ادعيتموه . فهل فى استطاعتكم أن تحلفوا أن الله موصوف بما ذكرتموه . أم أنكم قوم تظنون وما أنتم بمستيقنين والظن لا يغنى عن الحق شيئا **﴿كبر مقتا أن تقولوا على الله ما لا تعلمون﴾** قال تعالى **﴿الذين يجادلون فى آيات الله بغير سلطان أتاهم كبر مقتا عند الله وعند الذين آمنوا كذلك يطبع الله على كل قلب متكبر جبار﴾** وقال **﴿ومن الناس من يجادل فى الله بغير علم ولا هدىً ولا كتاب منير ثانى عطفه﴾** وأما ما نسبته إلينا بأننا نشبه الخالق بالمخلوق فهو بهت منك ومن أمثالك . بل هو وليدة فهمكم العاطل لما علمتموه منا بأننا نؤمن ونصدق

بصفـات الله كما جاءت بغـير تأويل ولا تعطيل . فقلتم بفهمكم السقيم يلزم من التسليم التشبيه . لسوء فهمكم ولو وجد على سبيل الفرض فى الأمـة المحمـديـة من يشبـه الخـالق بالمخلوق لكان ذلك المشبه أقل شراً وخطأ منكم . لأنه يؤمن بصفات الله تعالى . ويثبت ما أثبت الله تعالى لنفسـه إلا أنـه أخطأ فى تشبيهـه بالمخلوق وهـو أهـون من السلب والتعطيل ، وأما أنتم فأبطلتم صفاته سبحانه وتعالى بتاتا ، زاعمين أن ما وصفتموه به أكمل مما وصف به نفسه لتكملوا الدين بذلك . ولاشك أنه واف كامـل . لقـول النبى ﷺ : «تـركتكم على البيضـاء ليلها كنهارها» وقـال تعـالى : ﴿اليـوم أكملت لكم دينكم﴾ وقال : ﴿لا تبديل لكلمات الله﴾ والـزيـادة والنقصان من التبديل . وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنـه : «تـركتكم على الـواضحـة» فهل ترى مثل هذا يقال لمن هو مفتقر إلى معـرفـة أصـل دينه كما تزعمون . أم يقال لمن كمل له دينه : بل يقال لمن كمل له دينه غاية الكمال صدق الله وصدق رسوله، وهلكت المتنطعة .

قال الخلفى : ما تقـول أنت فى الآيـات والأحـاديث التى أنكرت علىَّ تأويلها؟

قال السلفى : أومن بها كما جاءت ، وأفـوض علم حقـائقهـا إلى عالمها سبحانه وتعالى وكل ما يخطر من ذلك فى قلب البشر فإنه شر ، فالله خلاف ذلـك ليس كمثله شىء كما أخـبر . ولـو علم سبحانه وتعالى بأن نصـوص صفـاتـه تفيـد ما يوهم النقص فى حقـه كما تزعمون لما أنزلها فى كتابه العزيز . كيف ينزلها وهو لا يرضى نقصا لنفسه ولا كفراً لعباده . لما رواه مسلم والبخـارى بمعناه عن عبـد الله قال : قال رسـول الله ﷺ : «ليس أحد أحب إليه المدح من الله من أجل ذلك مدح نفسه وليس أحد

أغير من الله ، من أجل ذلك حرم الفواحش» . فغير معقول من هذا صفته أن يصف نفسه بما يوهم نقصاً فى حقه . بل يصف نفسه بما يفيد الكمال ويرفع الوهم قال تعالى : **﴿ليس كمثله شىء﴾** لكى لا تخوض العباد فيما لا يعلمون ، ويسلموا تسليماً . ومع ذلك لم تقنعوا . وخضتم فيما لا تعلمون وحكمتم عقولكم الخاسئة ، وسَلَبْتُموه صفاته لتحسنوا صنعاً . فمن أبعد عن الهدى من الضال المفسد يظن أنه يحسن صنعا وأهدى سبيلا . قال تعالى : **﴿ومن أظلم ممن افترى على الله الكذب وهو يدعى إلى الإسلام﴾** فالحاصل ظننتم أنكم أعلم بالله وبما يليق به منه ومن رسوله الذى هو أعلم العباد به ومن السلف الصالح مع أن أحدكم لا يستطيع أن يعلم من بدينته ما وارى منها جلده . ولا يعلم طول عمره صفة ظهره إلا أن يقيسه على ظهر غيره فالعاجز عن معرفة نفسه كيف يدعى أنه يعلم صفة خالقه الذى **﴿لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار﴾** و **﴿ليس كمثله شىء﴾** ليقاس عليه إن هذا لشىء عجيب وبهتان مبين وظننتم أنكم أتيتم بما عجزت عنه الأوائل .

قال الخلفى : إنى لم أنكر مذهب السلف بل أعترف به وأنه أسلم ولكن مذهب الخلف أحكم ولذلك اخترته .

قال السلفى : الحمد لله إذ اعترفت أن مذهب السلف أسلم فما لغير سالم إلا الهلاك ومن أين لك أن له الإحكام والقوة . بل له الضعف والهون والهلاك الشىء الواحد لا يخلو من أحد الأمرين إما أن يكون سالما أو غير سالم لا ثالث لهما .

قال السلفى : أيضا . فما دمتم تعلمون أن مذهب السلف حق وهو أسلم فما الذى حملكم على التأويل!

قال الخلفى : السبب الذى حمل الخلف على التأويل هو ما ذكره

سعد الدين التفتازاني فى شرح عقيدة النسفى ص ١١ ما هذا نصه : «وقد كانت الأوائل من الصحابة والتابعين رضوان الله عليهم أجمعين لصفاء عقائدهم ببركة صحبة النبى ﷺ، وقرب العهد بزمانه، ولقلة الوقائع والاختلافات، وتمكنهم من المراجعة إلى الثقات مستغنين عن تدوين العلمين وترتيبهما أبوابا وفصولا وتقرير مقاصدهما فروعا وأصولا إلى أن حدثت الفتن بين المسلمين وغلب البغى على أئمة الدين، وظهر اختلاف الآراء، والميل إلى البدع والأهواء، وكثرت الفتاوى والواقعات، والرجوع إلى العلماء فى المهمات، فاشتغلوا بالنظر والاجتهاد والاستدلال والاستنباط وتمهيد القواعد».

قال السلفى : هل ترى عقائدكم هذه التى تقولون أحدثتموها لغلبة أهل البغى على أهل الحق. أأحدثتموها لتهدوا بها أهل البغى إلى الحق وعقائد السلف. أم أحدثتموها لتكون عقائد دينية عقلية بدلا من عقائد السلف. أم لمجرد الدفع عن الحق وعقائد السلف لكى لا تضل العوام بكلامهم. فإن قلت بالأول أقول فهلا جادلتموهم بكتاب الله تعالى الذى أنزله هدى للناس معجزاً لألسن العباد وفيه تبيان لكل شىء وهو يهدى السبيل، وفيه حجة قاطعة، وسهم راصد لكل باغ فى كل زمان وحين كما جاء ذلك فى الحديث الذى رواه أبو هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : «ما من نبى من الأنبياء إلا وقد أعطى من الآيات ما مثله آمن عليه البشر وإنما الذى أوتيت كان وحياً أوحاه الله إلىّ فأرجو أن أكون أكثرهم تابعا يوم القيامة» أخرجه الشيخان. فإن قلت بالثانى. أقول كذبتم دعواكم أنكم تدفعون أهل البغى عن أئمة المسلمين، واعترفتم أنكم ابتدعتم ديناً. فإن قلت بالثالث، أنكم فعلتم ذلك لئلا تضل العوام بكلامهم، فأقول الآن ما ترونه أنتم دفعاً بل ترونه عقائد دينية هى أفضل من عقائد السلف الصالح مع أن الوقوع فى المحظور

بالإضطرار ينتهى بانتهاء ما اضطر إليه وأما أنتم فقد جعلتموه ديناً يتقرب به إلى الله حكما ناسخا للحكم المشروع فصرتم تضللون به من تمسك بعقائد السلف الصالح. وتحاربونهم ما استطعتم. ولم يذنبوا سوى أنهم تمسكوا بكتاب ربهم وسنة نبيهم محمد ﷺ الذين تزعمون أنكم تذبون عنهما. وإنما تنأون عنهما من حيث لا تدرون.

قال الخلفى معتذراً للخلف: القوم الذين كانوا يناظرهم الخلف ما كانوا يقبلون الأدلة النقلية ولا ينقادون لها لذلك اضطر علماء الخلف إلى الأدلة العقلية.

قال السلفى: كان النبى ﷺ يدعو مشركى العرب بالكتاب ولم يدعهم بالعقليات مع أنه أكمل الناس عقلا وهم لم يكونوا أهل الكتاب ولا يدرون ما الكتاب وما الوحى. بل كانوا أهل الأوثان يجادلون عنها بعقولهم وقد أوتوا الجدل الوافر. ومع ذلك لم يجادلهم النبى ﷺ إلا بالوحى حتى هداهم الله به. وسائر الأمم أيضا لم يدعهم أنبياؤ هم إلا بالوحى ولا شك أن من لم يَنقْدَ بالكتاب والسنة. ولم يهتد بهما فلن ينقاد ويهتدى بعقول العباد. وقد ذكر أن بعض عمال عمر بن عبد العزيز كتب إلى عمر بحال بلده. وكثرة لصوصه، هل يأخذهم بالظنة أو يحملهم على البينة وما جرت به السنة. فكتب إليه: خذهم بالبينة وما جرت عليه السنة. فإن لم يصلحهم الحق فلا أصلحهم الله. ذكره القاضى عياض فى شفائه. فمن مجادلتكم لهم بمحض عقولكم. وترك المجادلة بالكتاب والسنة. تبين أنكم لم تقصدوا هدايتهم إلى الحق وعقيدة السلف إنما أردتم أن تنقلوهم من باطلهم إلى باطلكم بعقولكم فلهم عقول كما لكم عقول. وخرجتم بمثل ما خرجوا به. وصرتم إخواناً فى تحكيم العقل على النقل. والله الموفق للصواب وإليه المرجع والمآب.

الجلسة الثانية فى بحث التوسل

قال السلفى : ما تقول فى التوسل بأهل الصلاح والفضل مثل سيدنا عبد القادر. بنحو اللهم إنى أسألك بجاه عبد القادر وبحرمة عبد القادر أن ترزقنى الذرية وتعافينى من البلية ونحو ذلك؟

قال الخلفى : هذا جائز عندنا بل مرغب فيه لأن أعمالنا قاصرة فنتوسل إلى الله بأوليائه كما نتوسل إلى الملوك بأهل ودهم لتقضى حاجاتنا.

قال السلفى : هذا قياس فما الدليل على ما ادعيته وليس كل قياس على الصواب.

قال الخلفى : الدليل عليه ما روى (إذا سألتم الله فسلوه بجاهى فإن جاهى عند الله عظيم) ثانيا الحديث الذى يروى أن آدم عليه السلام لما أكل من الشجرة وجرى ما جرى استشفع بالنبى ﷺ . فقال يا آدم كيف عرفت محمداً ﷺ . ولم أخلقه بعد . قال لما نفخت فى الروح رفعت رأسى فرأيت على قوائم العرش لا إله إلا الله محمد رسول الله ﷺ فعلمت أنك لم تضف إلى اسمك إلا أحب الخلق إليك. فقال صدقت يا آدم انه لأحب الخلق إلى . وإذ سألتنى به فقد غفرت لك. ولولا محمد ما خلقتك وهو آخر الأنبياء من ذريتك. ثالثا : قد جاء أن نوحا وادريس وموسى وجماعة من الأنبياء توسلوا به . رابعا : حديث الأعمى الذى قال : (اللهم إنى أسألك واتوجه إليك بنبيك محمد نبى الرحمة يا محمد يا رسول الله إنى اتوجه بك إلى ربى فى حاجتى). خامسا : استسقاء عمر ابن الخطاب بالعباس رضى الله عنهما قال عمر : (اللهم إنا كنا إذا جد بنا

نتوسل إليك بنبينا فتسقينا وإنا نتوسل إليك بعم نبيك فاسقنا . فيسقون) وجاء عن المشايخ فى هذا الباب ما لا يحصى .

قال السلفى : أما قياسك بالطالب من الخالق علام الغيوب العدل الرحيم بالطالب من الملوك الظلمة فقياس مع الفارق كقياس الميت على الحى بل أضعف من ذلك . قال تعالى : ﴿فلا تضربوا لله الأمثال﴾ قالت العلماء : أى لا تقيسوا أعمالكم به . أولا : سبحانه وتعالى سميع عليم رحيم كريم يعلم بحاجة عبده وهى فى نفسه قبل أن ينطق بها كما قال تعالى : ﴿يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور﴾ وقال مخبراً بقول عيسى عليه السلام : ﴿تعلم ما فى نفسى﴾ والملوك لا يعلمون بحاجة من غاب عنهم . والوصول إليهم متعسر . وخصوصاً على الضعاف لأنهم محجوبون عنهم بأرباب الدولة فيحتاجون إلى واسطة يخبر لهم الملك بحاجتهم . ويشفع لهم لنجاحها . ثانيا : الله سبحانه وتعالى لم يجعل وسائط من العباد بينه وبين من يدعوه من عباده بل أمر فقال : ﴿ادعونى أستجيب لكم﴾ وهو سبحانه يحب طلب عبده منه وإلحاحه بالطلب . لما أخرجه الترمذى عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «من لم يسأل الله يغضب» وأخرج الترمذى أيضا . قال : قال رسول الله ﷺ : «سلوا الله من فضله فإنه يحب أن يسأل» وقيل شعرا :

الله يغضب إن تركت سؤاله ... وبنى آدم حين يسأل يغضب

والملوك بالعكس كما ترى . وأيضا قد يتأتى منهم الظلم فيحتاج العبد إلى من يشفع له لرفع المظلمة عنه ﴿وما ربك بظلام للعبيد﴾ وقد يقبل الملوك شفاعة الشافعين خوفاً على ملكهم ﴿والله فعال لما يريد﴾ ﴿ولا يخاف عقباها﴾ وأما استدلالك بالحديث ـ إذا سألتم الله فسلوه بجاهى إلى آخره ـ قال محيى السنة العلامة ابن تيمية فى الرد على

البكـرى ـ فهـو كذب موضوع من الأحاديث المشينات التى لا زمام ولا خطـام لها ـ كما قال الإمـام أحمـد : للنـاس أحاديث يتحدثون بها على أبواب دورهم ما سمعنا بشىء منها . انتهى كلام الشيخ ومثل أحاديثك هذه لا يرويهـا إلا رجـل لا يميـز بين الصحيـح وغـيره كعـامـة مصنفى السير . والأخبار . وقصص الأنبياء . وهؤلاء لم تكن لهم خبرة بالحديث ليميـزوا بها الطيب من الخبيث . ولم يكـونـوا خالى الذهن ليتجنبوا ما لا يعلمـون بل يرغبـون أن يجمعوا مادب وتدحرج كمحتطب بالليل يحمل كل ذى جرم لا يفرق بين الأفعى والعود نصرة لما يهوونه وتقوية لمذاهبهم البـاطلة المحـدثة . ولوكان لهذه الأحاديث مصدر صحيح عن رسول الله ﷺ لتواترت لدى أهل العلم تواتراً لا يبقى معه الخفاء لحاجة الناس إليه لأمر دينهم ودنياهم . ولسبقتنا إليه الصحابة رضوان الله عليهم . لرغبتهم فى اتبـاع سنـة نبيهم ﷺ . ومـع ذلـك لم ينقـل عن واحد منهم أنه توسل بالحـديث المـزعـوم . لا فى أمـر دينهم ولا دنيـاهم مع كثـرة البـلايا التى أصابتهم بعد وفاة عمر بن الخطاب رضى الله عنه . بل وفى حياة الرسول الله ﷺ خاضوا فى وقائع عظام . ولم ينقل عنهم أنهم توسلوا بها ومنها وقعة بدر. قوبلوا فيهـا بجنـود لا قبـل لهم بها إلا بنصـرة من الله لهم ، ومنهـا أحـد ، والأحـزاب ، وحنـين ، وغـير ذلـك . وقـد جاءت فى الأحـاديث الصحـاح أدعيـة عن النبى ﷺ كثـيرة جدا ألفت فيهـا كتب كالأذكـار للنووى وغيره ، ولم يروا فيها التوسل بتاتا لا بالألفاظ المزعومة ولا غيرها .

وأمـا استـدلالـك أن نوحا وادريس وموسى وجماعة من الأنبياء توسلوا به فهـو من جنس ما سبق آنفـا . لا أصـل له عند علماء الحديث . قال محى السنـة شيـخ الإسـلام ابن تيمية فى الرد على البكرى . لم ينقله أحد عن النبى ﷺ لا بإسنـاد صحيـح ولا حسن . ولا ضعيف يستأنس به ، إنـما نقل هذا وأمثاله كما تنقل الاسرائيليات التى كانت فى أهل الكتاب عن

مسلمة أهل الكتاب . أو كتبهم ، ولم تكن فى شىء من دواوين الحديث التى يعتمد عليها . إنما ذكر هذا وأمثاله من يجمع الموضوعات الكثيرة والأكاذيب العظيمة . مثل مصنف كتاب وسيلة المتعبدين الذى صنفه الشيخ عمر الموصلى ومثل تنقلات الأنوار للبكرى . ومثل القاضى عياض بن موسى السبتى مع علمه وفضله ودينه أنكر عليه العلماء كثيرا مما ذكر فى شفائه من الأحاديث والتفاسير التى يعلمون أنها من الموضوعات والمناكير مع أنه أحسن وأجاد فيه بما فيه من تعريف حقوق خير العباد . وفيه من الأحاديث الصحيحة والحسان ما يفرح به كل من عنده إيمان . انتهى كلام الشيخ . فالحاصل لم يكن أصل لأحاديثك ولا حديث ضعيف ، ولم يروها من يعبأ به من أهل الحديث . سوى القاضى عياض وقد علمت أنه روى وتساهل فى بعض الأحاديث فى شفائه فأنكرها عليه إخوانه علماء الحديث ولم يقدح ذلك فى علمه وفضله المذكورين آنفا . وهو غير معصوم ومثل هذا يغمر فى بحر حسناته رحمة الله عليه . وأما قولك إن آدم تيب عنه حين استشفع بالنبى ﷺ ، فمردود . بقوله تعالى ﴿**فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه إنه هو التواب الرحيم قلنا أهبطوا منها جميعا**﴾ فأخبر سبحانه وتعالى إنه تاب عليه عقب الكلمات . وهى قولهما ﴿**ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين**﴾ أو كلمات تشبهها . ذكر ذلك طائفة من المفسرين . ومن يقل غير هذا فلا حجة له به . وقد ذكر ابن أبى الدنيا فى كتاب التوبة فى هذه الكلمات أشياء كثيرة كلها تدور حول ما ذكر الله تعالى فى كتابه من قول آدم وحواء ﴿**ربنا ظلمنا أنفسنا**﴾ إلى آخره . ولاشك أن كل من تاب الله عليه لمن هو دون آدم وذنبه أكبر من ذنب آدم بدون أى واسطة يوسطها بين يدى دعائه . لقوله تعالى

﴿من يعمـل سوءاً أو يظلم نفسـه ثم يستغفـر الله يجد الله غفورا رحيما﴾ وللحديث المتفق عليه. ان النبى ﷺ قال لعائشة رضى الله عنها فى قصة الإفـك: «إن كنت ألممت بذنب فاستغفـرى الله. وتوبى إليه فإن العبد إذا تاب واعترف بذنبه تاب الله عليه» ولم يأمرها أن تتوسل بجاهه. وهى أحب النـاس إليـه. ولم تتـوسـل به هى. وهـو أحب النـاس إليها كما هو معلوم لدى أهـل الحـديث. ولو كان التوسل بذاته مشروعاً لعلمها إياه. ولو كان معلوما عندهم ومتعارفا لتوسلت به هى لما أصابها. وأيضا قصة كعب بن مالك وصاحبيه معلومة فقد ضاقت عليهم الأرض بما رحبت. ومـع ذلـك لم ينقـل عنهم أنهم توسلوا به فإن قلتم لابـد لنـا من أن نتخذ وسائط يحبها الله، قلت فادعوه باسمائه كما شرع ولا شىء أحب وأعظم إليـه من أسـمائـه. قال تعـالى **﴿ولله الأسـماء الحسنى فادعـوه بها﴾** وفى الـدعـاء الطـويـل عن النبى ﷺ قال: اللهم إنى عبـدك وابن عبـدك ناصيتى بيدك إلى أن قال: أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك أو علمتـه أحـداً من خلقك إلى آخره. وأما استدلالك بحديث الأعمى فليس لك فيـه حجـة ودليـل. حيث إن الأعمى لم يتوسل بالنبى ﷺ إنما توسل واستشفع بدعاء النبى ﷺ وهو أمر مشروع معروف بدون خلاف بين أهل العلم. فإن الأعمى حين جاء عند النبى ﷺ طلب منه أن يدعو الله له. ولم يطلب منه غير ذلك. ثم إن النبى ﷺ أمره أن يدعو هو أيضا بنفسه لنفسه مع دعائه له كما يدل على ذلك حديثه. وهذا هو بلفظه أن النبى ﷺ علم رجـلا أن يقـول اللهم إنى أسألـك وأتـوجـه إليك بنبيك محمـد نبى الـرحمـة يا محمـد يا رسـول الله إنى أتـوسـل بك إلى ربى فى حاجتى ليقضيهـا لى اللهم فشفعـه فى. رواه الإمـام أحمـد والـترمذى. والـروايـة الثانية التى فى مسند الإمام أحمد هى أوضح وأصرح من هذا.

وهى هذه «عن عثمان بن حنيف أن رجلا ضريراً أتى النبى ﷺ . فقال يا نبى الله أدع الله لى أن يعافينى . فقال إن شئت أخرت فهو أفضل لآخرتك . وإن شئت دعوت لك» قال بل أدع الله لى فأمره أن يتوضأ . وأن يدعو بهذا الدعاء «اللهم إنى أسألك وأتوجه إليك بنبيك محمد نبى الرحمة يا محمد إنى أتوجه بك إلى ربى فى حاجتى هذه فتقضى لى اللهم فشفعنى فيه وشفعه فى . قال ففعل الرجل فبرأ» وهذا يدل على أن الدعاء كان من الطرفين بأن الأعمى دعا بنفسه لنفسه كما يدل عليه أمر النبى له بذلك وقوله : اللهم شفعه فى . والنبى دعا له كما يدل عليه . وإن شئت دعوت . وقوله : فشفعنى فيه . ومعنى الشفاعة معلوم عرفاً ولغة . وهو طلب المحبوب للمشفع له . أو دفع المكروه عنه . ومعلوم أن ذلك لا يكون إلا بألفاظ كما جاء ذلك فى حديث الشفاعة الذى رواه أنس رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «فيأتونى فأقول أنا لها فانطلق فاستأذن على ربى فيأذن لى فأقوم بين يديه فأحمده بمحامد لا أقدر عليها الآن يلهمنيها الله ثم أخر لربى ساجداً فيقول يا محمد إرفع رأسك وقل يسمع وسل تعط واشفع تشفع فأقول يا رب أمتى» إلى آخر الحديث . أخرجه الشيخان ولست أجادلك بأن التوسل بالنبى ﷺ هو أعظم قدرا فى حقه من الشفاعة المذكورة بل قدر الشفاعة أعظم إلا أنى أقول : التوسل الذى تعنيه لم يشرعه لنا بعد وفاته بل ولا قبل وفاته إلا التوسل بدعائه والدليل عليه هو عدم توسل أصحابه به . فلو ثبت ذلك عن النبى ﷺ لسبقناكم إليه وكنا أسعد به منكم لأننا نفضل قوله على قول الآباء والمشايخ .

وأما استسقاء عمر بن الخطاب بالعباس رضى الله عنهما فهو حجة لنا لعدول عمر بن الخطاب عن رسول الله لوفاته إلى عمه العباس .

وكان استسقاء عمر بالعباس بدعاء العباس وهو حى حاضر كما يدل عليه ألفاظ عمر بن الخطاب رضى الله عنه. وهذه هى: «اللهم إنا كنا إذا أجدبنا نتوسل إليك بنبينا. وإنا نتوسل إليك بعم نبينا فاسقنا. فيسقون» فعدول عمر بن الخطاب عن النبى ﷺ إلى العباس يدل ويوضح بأن التوسل بالأموات غير مشروع مهما بلغ الميت من القدر عند الله بل يعدل عنه إلى الحى وإن كان أقل قدراً منه لعدول عمر بن الخطاب رضى الله عنه عن النبى ﷺ إلى عمه العباس رضى الله عنه ولو كان التوسل بالأموات مشروعاً كما تزعمون لما عدل عمر رضى الله عنه عن رسول الله ﷺ إلى العباس بتاتا ولا يفعله عاقل فضلا أن يفعله عمر ابن الخطاب الملهم بالصواب الذى جعل الله الحق فى لسانه ومن يعدل عن رسول الله ﷺ وبمن يعدل. وقول عمر رضى الله عنه: «اللهم إنا كنا نتوسل إليك بنبينا إلى آخره» يفيد ويشعر مفهوم قوله الذى كالصريح كأنه حيث فقدنا توسل نبينا ﷺ بوفاته فإنا الآن نتوسل إليك بعمه بدلا عنه لتسقينا لقرابته وإلا لم يكن معنى لقول عمر: «إنا كنا نتوسل إليك بنبينا إلى آخره» والحاصل أنه توسل بدعاء النبى ﷺ فى حياته ولم يثبت التوسل به بعد موته. بل توسل أصحابه بغيره بدون نكير. ومنه توسل عمر المذكور آنفا بالعباس. ومنه توسل معاوية بن أبى سفيان بيزيد بن الأسود قال معاوية: «إنا نستشفع أونتوسل إليك بخيارنا. يازيد ارفع يديك. فرفع يديه. ودعا للناس حتى سقوا» وهذه التوسلات الثلاثة كلها تدل أنها كانت بالدعاء. فعدول عمر بن الخطاب ومعاوية عن التوسل برسول الله ﷺ إلى التوسل بالعباس ويزيد وسكوت الصحابة رضوان الله عليهم على ذلك هو أكبر حجة عليكم. وأظهر إجماع لأنهم قد أجمعوا عليه إجماعاً سكوتيا إذ لا يسكتون على الخطأ ولو كان التوسل بالأموات معلوماً ومشروعاً لأنكروا عليهما ترك التوسل بالنبى ﷺ.

والتوسل بغيره. وغير معقول أن يجمعوا على ترك التوسل بنبيهم. ويختاروا عنه توسل العباس ويزيد. وهل تعلم فى حياته أنهم اقتدوا فى صلاتهم بغيره مع حضوره أو توسلوا بغيره. طبعا ستقول لا. فمن هنا تعلم أنهم ما تركوا التوسل به إلا لعدم مشروعيته. كيف يمكن أن يتركوا من يجيش الميزاب لتوسله قبل نزوله من المنبر ويختاروا غيره كما فى البخارى عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال: «ربما ذكرت قول الشاعر وأنا أنظر إلى وجه رسول الله ﷺ يستسقى فما ينزل حتى يجيش له ميزاب».

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه   ثمال اليتامى عصمة للأرامل

وأما طلب الدعاء من أهل الخير والفضل والصلاح فى حياتهم فأمر جائز مجمع عليه بدون خلاف بين أهل العلم بل مرغب فيه. ومنه قول رسول الله ﷺ لعمر بن الخطاب رضى الله عنه: «يأتيكم أويس القرنى إن استطعت أن يستغفر لك فافعل» ولم يأمره أن يتوسل به وهو غائب. وهذا مختصر من الحديث الطويل وأيضا قوله ﷺ: «هل تنصرون وترزقون إلا بضعفائكم بدعائهم وصلاتهم واستغفارهم» فجعل الدعاء والاستغفار هو سبب النصر والرزق. ولم يجعل التوسل بهم سبب النصر والرزق. وقال تعالى: ﴿**أدعونى أستجب لكم**﴾ فجعل الدعاء هو الوسيلة بينه وبين عباده بدون أى واسطة. والتوسل المشروع الذى لا ريب فيه وحرى أن يستجاب به الدعاء فضلا من الله هو التوسل بصالح الأعمال التى عملها العبد قبل دعائه مخلصا لله. متبعا لما جاء به نبيه ﷺ. كما توسل بها أهل الغار الثلاثة الآتى ذكرهم. قال تعالى: ﴿**وابتغوا إليه الوسيلة**﴾ قال علماء التفسير: أى بالتقوى والأعمال الصالحة. وقال تعالى: ﴿**ومن يتق الله يجعل له مخرجا**﴾ وقال: ﴿**إن**

أكـرمكم عنـد الله أتقـاكم﴾ وينبغى للعـاقـل الحازم أن يترك التشبثات بالخلق بل عليـه أن يعمـل بعمـل أهـل الصـلاح والتقـوى ولو ببعضها ليكـون منهم وليستجـاب دعـاؤه . وأمـا استدلالك بكثرة أقوال المشايخ فاعلم أن قول المشايخ إن لم يصحبه دليل نقلى عن الشارع سيان كثرتهم وقلتهم وسـواء قالـوا أو لم يقـولوا . ألم تر كثرة مشايخ أهل الكتابين الذين أحـدثـوا أشيـاء لم تكن فى التوراة والإنجيل لم يجعل الله كثرتهم حجةً لهم بل ذمهم وعابهم فيما صنعوا وأنزل فى حقهم شر ما أنزل . فوظيفة المشايخ والـذى عليهم أن يكـونوا ربانيين يعلمون الناس ما علموا من كتاب الله تعالى وسنة نبيه محمد ﷺ وليس لهم التشريع من أنفسهم . ولم يقبل من أحد كائنا من كان دعواه ما لم تستند إلى دليل من الكتاب والسنة والأثر. وإن قبله منهم جاهـل بجهله فلن يقبـل الله من الجـاهل ذلك العمل بل عليـه وزره وعلى شيخـه مثـلاه لأنه أمر مبتدع لم يأذن الله به لقول النبى ﷺ : «من سن سنـة سيئـة عليـه وزرهـا ووزر من عمـل بها» إلى آخـر الحديث. بخلاف الخطأ فى الحكم المشروع . حيث إن المخطىء فيه فى الفهم والاجتهاد غير ملام وكذلك مقلده ما لم يظهر النص مخالفا له .

قال الخلفى : أتنكـر التـوسـل وقـد تناقلته الأمة سالفاً عن سالف وذكرته العلماء فى كتبها نثراً وشعراً . قال قائلهم :

وأثبتن للأوليـاء الكـرامـة ... ومن نفـاهـا فانبـذن كلامـه

قال السلفى : ألم أقل لك أقوال المشايخ لا تصلح أن تكون حجة بدون دليـل مع أن بحث الكـرامات ليس من بحثنا بل بحثنا فى التوسل وهو أمر غير مشروع ولا يعبد الله إلا بما شرع . ولا يقبل عمل عامل إلا إذا كان وفق ما شرع . لقـول النبى ﷺ : «من أحـدث فى أمـرنـا هـذا ما ليس منـه فهـو رد» متفق عليه . وفى رواية مسلم : «من عمل عملا ليس

عليـه أمـرنـا فهو رد» ولم يشرع لنا من التوسل إلا نوعان أحدهما أن يدعو العبد بنفسه . أو يطلب الدعاء من أخيه المؤمن ، قال تعالى : **﴿وأبتغوا إليـه الـوسيلة﴾** وقـد طلب النبى ﷺ الـدعاء من عمر بن الخطاب حين ودعـه للعمـرة قال له : «لا تنسـانـا من دعائك» «أو أشركنا» . وفى رواية بلفـظ «يـاأخىّ» ومنه توسل الأعمى بالنبى ﷺ . وتوسل عمر بالعباس ، ومعـاويـة بيـزيد . ومنه قول الأعرابى لرسول الله ﷺ : «إنا نستشفع بك على الله» والتـوسـل الثـانى أن يتوسل العبد بعمله الصالح الخالص لله لقوله تعالى : **﴿وأبتغوا إليه الوسيلة﴾** ولما أخرجه الشيخان وأبو داود عن ابن عمـر رضى الله عنهـما قال : قال رسـول الله ﷺ : «انطلق ثلاثة نفر ممن كان قبلكم حتى آواهم المبيت إلى غار فدخلوا فيه فانحدرت صخرة من الجبـل فسـدت عليهم الغار. فقالوا إنه لا ينجيكم من هذه الصخرة إلا أن تَدْعُـوا الله بصـالـح أعـمالكم . فقـال أحدهم : إنه كان لى أبوان شيخان كبيران وكنت أرعى عليهما ولا أغبق قبلهما أهلا ولا مالا وأنه نأى بى طلب الشجـر يومـا فلم أرح عليهـما حتى نامـا فحلبت لهما غبـوقهـما فوجـدتهـما قد ناما فكرهت أن أغبق قبلهما أهلا ومالا وكرهت أن أوقظهما والصبية يتضاغون عند قدمى والقدح على يدى أنتظر استيقاظهما حتى بَرَقَ الفجر اللهم إن كنت تعلم أنى فعلت ذلك ابتغاء وجهك ففرج عنا ما نحن فيه من هذه الصخرة فانفرجت شيئا لا يستطيعون منه الخروج .

وقـال الآخر : اللهم إنه كانت لى ابنة عم هى أحب الناس إلى فراودتها على نفسهـا فامتنعت منى حتى ألمت بها سنـة من السنين فأعطيتها مائة وعشـرين دينـارا على أن تخل بينى وبـين نفسها ففعلت حتى إذا قدرت عليها قالت لا يحل لك أن تفض الخاتم إلا بحقه فتحرجت من الوقوع عليهـا فانصـرفت عنهـا وهى أحب الناس إلى وتركت الذهب اللهم إن كنت فعلت ذلـك ابتغـاء وجهـك فأفـرج عنـا ما نحن فيـه . فأنفـرجت

الصخرة غير أنهم لا يستطيعون الخروج. قال الثالث: اللهم إنى كنت استأجرت أجراء فأعطيتهم أجرهم غير رجل واحد ترك أجره وذهب فثمرته له حتى كثرت منه الأموال فجاءنى بعد حين فقال يا عبد الله. أد لى أجرى فقلت: كل ما ترى من البقر والغنم والإبل والرقيق أجرك أذهب فاستقه فقال يا عبد الله لا تستهزىء بى فقلت إنى لا أستهزىء بك أذهب فاستقه فأخذه كله. اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك ففرج عنا ما نحن فيه فانفرجت الصخرة فخرجوا يمشون».

قال الخلفى: أنتم أناس متوهبون ما تحبون النبى ﷺ ولذلك تكرهون التوسل به. أما نحن فهو وسيلتنا فى الدنيا والآخرة.

قال السلفى: بل أنتم ما تحبون النبى ﷺ ولو أحببتموه لأطعتموه ولآثرتموه على غيره كما هو واجب على كل مسلم. ومن المعلوم أن المحب لمن يحب مطيع فيما أحب وكره. ويقدم رغبته عن رغبة نفسه ورغبة غيره كائنا من كان. ويصدقه فى أفعاله وأقواله. وأما من يدعى المحبة وهو يخالف من يدعى حبه فى أقواله وأفعاله ويأخذ بأقوال وأفعال غيره فهو كاذب فى دعوى المحبة. زعمه ينقضه سيره وهو لا يخلو فى ذلك من أحد الأمور الثلاثة إن كان عاقلا، فإما أن يكون كاذبا فى دعوى المحبة كما هو الظاهر، أو مكذبا له فيما أخبر به أو فيما فعله. أو محقرا له ومصدقا ومعظما لمن يتبعه وإلا لما خالفه. وأيضا توسلك الذى تجعله دليلا على مودتك له إن صح ودك به هو ود لقضاء أربك وليس حبا دينيا. وعلى الوجهين لو صدق حبك لأطعته. إن المحب لمن يحب مطيع. كما قيل شعرا:

تعصى الإله وأنت تظهر حبه ... هذا لعمرى فى القياس بديع
لو كان حبك صادقا لأطعته ... إن المحب لمن يحب مطيع

فلحبنـا لرسـول الله ﷺ ترونـا أننـا نقدم ما قال الله والرسول ﷺ على أقـوال الـرجال كائنا من كانوا كما يقتضيه الشرع والعقل السليم فما دمنا نتبع ما قال الله تعالى ورسوله ﷺ ونترك ما سواهما فنحن أولى بهما منكم . قال تعالى : **إن أولى الناس بإبراهيم للذين أتبعوه﴾** وقال : **﴿لا يؤمنـون حتى يحكمـوك فيـما شجـر بينهم﴾** وقال : **﴿إن كنتم تحبون الله فاتبعـونى يحببكم الله﴾** وقـال النبى ﷺ : «لا يؤمن أحـدكم حتى يكون هواه تبعـا لما جئت به» (الحـديث فيـه نظـر من حيث الصحـة والمعنى) فالحـاصـل لولا حبنـا لرسـول الله ﷺ وإيثـاره على غيره من الخلق لما اختلفنا نحن وأنتم . وما أبغضتمونا بل لكنا نحن وأنتم . سواء فى مخالفته واتبـاع قيـل وقـال من آراء الـرجال الذين هـم أكبر فى صدوركم من الله تعالى ورسوله ﷺ ، ولكن يأبى الله لنا ذلك من فضله علينا ولن نوافقكم إن شاء الله تعـالى أبـدا ، والـدعوى بدون بينة غير مقبولة شرعاً قال الله تعـالى : **﴿قـل هاتـوا برهانكم إن كنتم صادقين﴾** فحاججونا وحاكمونا بالكتاب والسنة كما نحاججكم بهما إن كنتم صادقين فى حب الله ورسوله ﷺ . قال تعـالى : **﴿فـلا وربـك لا يؤمنـون حتى يحكمـوك فيـما شجر بينهم﴾** وأمـا مجرد دعـوى المحبـة مع المخـالفـة فى الأقوال والأفعال فهى باطلة عاطلة شرعاً وعقلا وأمثل حجتكم عن الشارع إما أن يكون حديثا موضـوعـاً أو يروى برواية مجهولة الأسانيد كأحاديثك السابقة ، أو حديثاً ضعيفـا أو تفسـير من لا يعبأ بتفسيره وقلت أمثل حجة مع أنها ما سلف لأجـل أنهـا منسـوبة إلى الأصل فى الجملة دون الرجال . وأما ما تنسبونه إلينـا بأننـا ما نحب النبى ﷺ والله يعلم أنكم لكـاذبـون فى ذلـك إنـما تقصدون به وبأمثاله من الألفاظ الشنيعة تسليط العوام علينا الذين هم كالهـوام وتنفـيرهـم عنـا لكى لا يقتـدوا بنـا وتظنون بذلك أنكم تحسنون صنعاً . وبالحقيقة أنتم أولى بها نسبتموه إلينا . وستعلمون غداً من يحب

النبى ﷺ نحن أو إياكم ولكن لن يفلح من ندم إذ ذاك . وأما قولك هو وسيلتنا فى الدنيا والآخرة . نعم إنه هو الوسيلة لسعادة الدارين . ولكن لا بالمعنى الذى أنتم تبغونه وتهوونه . إنه يسأل أو يسأل به بل بمعنى أن من آمن به واتبعه فيما جاء به وكان هواه تبعا لما جاء به حقيقة كان رسول الله ﷺ وسيلة له فى سعادة الدارين لأنه هو السبب فى هدايته ونجاته من النار.

قال الخلفى : أترى وتعتقد التوسل الذى تجادلنى فيه هو شرك . أم لا .

قال السلفى : لا أعتقد أنه شرك بل إنما أقول : من فعله أساء الظن بربه وأتى فى دعائه بما ليس له أصل فى الدين وبه جعل حظاً للشيطان من دعائه . لما أخرجه الشيخان ومالك وأبو داود والنسائى عن ابن مسعود رضى الله عنه قال : «لا يجعل أحدكم للشيطان شيئا من صلاته يرى أن حقاً عليه أن لا ينصرف إلا عن يمينه لقد رأيت رسول الله ﷺ كثيرا ينصرف عن يساره» فانظر فقد جعل ابن مسعود رضى الله عنه ملازمة ما لم يلازم عليه الرسول ﷺ من حظ الشيطان مع أنه له أصل صحيح فى الدين . فما بالك بمن أتى بما ليس له أصل فى الدين . ولو صحت أحاديثك التى زعمتها لكانت خاصة برسول الله ﷺ ولكن مع الأسف لم تصح ولا تتعدى إلى غيره بالقياس لعدم المناسبة بينه وبين غيره من أفراد الأمة مهما بلغ غيره من الصلاح والفضل هيهات هيهات بينهما . وأنى يصح القياس وهو رسول رب العالمين وسيد ولد آدم . وصاحب المقام المحمود . القائل أنا لها حين تعتذر الأنبياء صلوا ت الله عليهم وله تفتح الجنة . ثانيا : صلاح الرسل محقق عندنا لا ريب فيه وصلاح أفراد الأمة ظنى لجهلنا بسرائرهم ثم بعاقبة أمرهم . وإن كان الواجب علينا أن نظن بهم الخير وأن باطنهم كظاهرهم . وأنهم ماتوا

على ما كانوا عليه فى الدنيا من الإيمان ولكن بدون يقين وقطع بذلك. لما أخرجه الشيخان عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه. قال: قال رسول الله ﷺ: «فو الله الذى لا إله غيره إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها. وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها» وعن أم العلاء قالت: «فاشتكى عثمان عندنا فمرضته حتى توفى وجعلناه فى ثوبه فدخل علينا رسول الله ﷺ فقلت: رحمة الله عليك أبا السائب شهادتى عليك لقد أكرمك الله. فقال النبى ﷺ: وما يدريك أن الله أكرمه. قالت: قلت لا أدرى بأبى أنت يا رسول الله ﷺ فمن؟ قال: أما هو فقد جاءه اليقين والله إنى لأرجو له الخير وما أدرى والله وأنا رسول الله ما يفعل بى. قلت: فو الله لا أزكى أحداً بعده» أخرجه البخارى. قال الإمام أحمد أبوجعفر الطحاوى الحنفى فى عقيدته الطحاوية التى بين فيها عقائد السلف: ونرجو للمحسنين من المؤمنين ولا نأمن عليهم ولا نشهد لهم بالجنة ونستغفر لمسيئهم ونخاف عليهم ولا نقنطهم والأمن والإياس ينقلان عن الملة وسبيل الحق بينهما لأهل القبلة — صدق فيما قال وهو فصل الخطاب. ويستثنى مما ذكر من شهد له النبى ﷺ أو شهد عليه فيجوز للأمة بل يجب عليهم أن يعتقدوا ذلك ويشهدوا لمن شهد له أو شهد عليه تصديقا لشهادة نبينا ﷺ إذ هو الصادق المصدوق الذى لا ينطق عن الهوى ﴿**إن هو إلا وحى يوحى**﴾ ولولا كراهية الاطالة لبينت لك أكثر مما ذكر ولكن لا حاجة بنا إلى شىء من ذلك إنا بسلفنا مقتدون ولهم متبعون وشفاعة نبينا محمد ﷺ راجون إعملوا ما شئتم فستعلمون غدا نحن أو إياكم من هو فى ضلال مبين وما توفيقى إلا بالله العلى العظيم.

الجلسة الثالثة فى بحـــث الفـــروع

قال المقلد : أنت مقلد ومتعبد بمذهب أى إمام من الأئمة الأربعة رحمهم الله .

قال السلفى : متعبد بكتاب الله تعالى وسنة نبيه محمد ﷺ .

قال المقلد : متعجباً منه . الله أكبر . ثم قال : ألم تكن مقلدا لأحد المذاهب الأربعة : الحنفى ، والمالكى ، والشافعى ، والحنبلى؟

قال السلفى : لا . ولا أعدل إن شاء الله تعالى مادمت عاقلا عن الكتـاب والسنـة ولا أستعوضهما بآراء الرجال لعلها ولعلها وليس الشك كاليقين كما قال مصعب الزبيرى :

أأقعـد بعـد مارجفت عظـامى ... وكـان المـوت أقـرب سايـلينى
أجـادل كل معـترض خصـيم ... وأجعـل دينـه غرضـاً لدينى
فأتـرك ما علمـت لرأى غير ... ولـيس الـرأى كالـعلم اليقـين
ومـا أنـا والخصـومة وهى لبس ... تصـرف فى الشـمال وفى اليمـين
وقـد سنـت لنـا سنـن قوام ... يلحـن بكـل فج أو وجـين
وكـان الحـق ليس له خفـاء ... أغـر كغـرة الـفـلق المـبـين
ومـا عوض لنـا منهـاج جهـم ... بمـنهـاج ابـن آمنـة الأمـين
فأمـا ما علمـت فقـد كفـانى ... وأمـا ما جهـلت فجـنبـونى
فلسـت مكـفـراً أحـداً يصـلى ... ومـا أحـرمكـم أن تكفـرونى
وكـنـا إخـوة نرمـى جميـعـا ... فنـرمـى كل مرتـاب ظنـين
فما برح الـتـكـلف أن رمينـا ... لشأن واحـد فوق الـشؤون
فأوشـك أن يخر عماد بيـت ... وينقطـع القـرين من القـرين

ذكره ابن عبد البر فى جامع بيان العلم .

قال المقلد : إذاً أنت خامسي .

قال السلفى : لست خامسياً بل إنى سنى وأن مذهبى هو مذهب الحق والهدى الذى من خالفه ضل أعنى كتاب الله وسنة نبيه محمد ﷺ ومذاهبكم هى التى أحدثت بعدهما فلذلك أنتم أولى بالإسم الذى تدعوننا به لحدوث مذاهبكم بعد الكتاب والسنة . والأول لا يقال له خامس . بل الخامس ما بعد الأول : وأنت بنفسك تعترف وتقّر أن أصول الفقه عندكم أربعة : الكتاب ، والسنة ، والإجماع ، والقياس . ومعلوم بالاضرار عند الأولين والآخرين أن الأصل قبل فرعه . وأول عدد يدعى واحد فى عرف جميع الأمة مسلميها وكافريها . وما بعد الواحد يدعى ثانيا ، وثالثا ، ورابعا ، وخامسا إلى آخر العدد . فإن أنكرت على هذا فالعرف يرد عليك من دونى وأنت تعرف بنفسك أن ما قلته هو الحقيقة وهو الحق إلا أنك تحيد عن الحق لتأييد قولك الخاطىء والحق واضح غير خاف على أحد . إنما خضت معك لبيان خطئكم فيما تدعوننا بها أنتم أولى به منا مع علمى بأى اسم دعوتمونا به فهو غير ضار بنا أبدا مادمنا على الصراط المستقيم كما لم يضر رسول الله ﷺ دعوى قريش له بمذمم ونحوه صرف الله عنه ذلك بأنه محمد ﷺ . سبحان الله كم من مخطىء يظن أنه مصيب . وكم من مدبر يظن أنه مقبل .

قال المقلد : ما يمكن أن تكون على الصراط المستقيم حتى تقلد أحد المذاهب الأربعة المتفق عليها عند أهل السنة والجماعة وإلا فما تفسده من عبادتك تكون أكثر مما تصلحه وتعبد الله دائما وأبدا على جهل ، ولا تستطيع أن تفهم شيئا من الكتاب والسنة : وتعيش دائما على دعاوى كاذبة . وهذا الفن له رجال يعرفونه كما قيل :

وللحـــديث رجـــال يعـرفــون بـه   ولـلدواويـن حسَّـــاب وكـتَّـــاب

فالأئمـة الأربعـة اجتهدوا واستخرجوا جميع الأحكام من الكتاب والسنـة وجعلوهـا فى كتب وسمـوها الفقه، أما الآن فلا يستطيع أحد أن يفهم منهـا شيئـا إلا أن يتبعهم فى فقههم، وأنتم المـدعـون الاجتهاد فى وقتنـا هذا لو سئـل أحـدكم بأقـل مسألـة فقهية لا يستطيع أن يفتى فيها ويشفى السـائـل إلا أن يرجـع إلى أقوال الفقهاء لأنهم هيئوا للأمة ألوفاً من المسائل ولم يتركوا شيئا مما يحتاج إليه مقلدهم. ما كان من مسائل ومما لم يكن لتوقعه، فجزاهم الله عنا خيراً.

قال السلفى: تجنب السب والشتم الخالى عن الصدق لأنه ملجأ العــاجـزين عن الحجـة قالت قريش لرسـول الله ﷺ حين عجـزوا عن الحجـة إنـه كاذب مع علمهم أنـه غير كذوب وسـاحـر وكـاهن كما قيل للرسـل من قبله صلوات الله عليهم. وأمـا قولـك إن الأئمـة استخرجوا الأحكام من الكتاب والسنة إلى آخر ما ذكرت فإن كنت تعنى أن الأئمة استخرجوا معانيهما ولم يبق شىء فيهما يفهم منه معنى إنما بقيت حروف كما تبقى الحصـالـة فهـذا ظاهـر الفسـاد. ولا حاجة إلى أن أورد الأدلة لإبطاله. فمن لازم الحروف أن تدل على المعنى التى وضعت له. وأما إذا تعنى وتقول أن معناهما باق كما كان ولكن الناس الآن صاروا حصالة لا يستطيعون فهمهما وهذا مع ظهور بطلانه، وعلى فرض صحته أقول إن من لم يستطع فهم كتاب الله تعالى وسنة نبيه ﷺ فحرى أن لا يفهم كلام الفقهـاء المعقـد ككـلام صاحب الكنـز والهداية من الحنفية وكلام خليـل وصـاحب العشماوية من المالكية وكلام صاحب الزبد والمنهج من الشـافعيـة. وكـلام صاحب الإقنـاع من الحنـابلة. والله يعلم أنك غير صادق فيـما قلت. فكـلام الله تعـالى وكـلام رسوله ﷺ أحرى أن يفهم

لأنهما أخصر وأفصح وأوضح . ثم غير مشوبين باصطلاحات المناطقة ككتب الفقه فمن عجز عن فهم الكتاب والسنة فحرى أن يعجز عن فهم كلام الفقهاء المعقد ولو عكستم لكان أصوب . فالفهم الذى يفهم به كلامهم فمن باب أولى أن يفهم به كلام الله وكلام رسوله ﷺ .
ولذلك ترون أن أحدكم يقرأ علم الآلة والفقه عند المشايخ سنين عديدة . ويقرأ التفسير والحديث بدون شيخ بل يقرئه لغيره . وقال أحمد ابن حصروية : الدليل لائح والطريق واضح والداعى قد أسمع ، فما التحير بعد هذا إلا من العمى ، إنما خلقتم هذه الكلمات الكبار المجوفة أنت وأمثالك لترهبوا بها العوام وتصدوهم بها عن العمل بالكتاب والسنة ، فالله سبحانه وتعالى أنزل كتابه العزيز على الرسول الكريم ﷺ بلسان عربى مبين غير ذى عوج لينذر به الثقلين عربهم وعجمهم .
ولا يكون الإنذار والتبشير إلا بكلام يفهم ، يفهمه اللاحق كالسابق .
فالله سبحانه وتعالى حكيم رحيم لطيف بعباده من أن يكلفهم بما لا يفقهون ثم يعاقبهم لمخالفة أوامره ونواهيه . كيف يتقونه وهم لا يفهمون ما يتقونه وما يأتونه . قال تعالى : ﴿**وما كان الله ليضل قوما بعد إذ هداهم حتى يبين لهم ما يتقون**﴾ فهل ترى من العقل السليم أن ترسل الأكْمَهَ وتقول له أمض إلى بستان كذا وإئتنى منه بتفاح أحمر والحذر من أن تأتى بغيره . وتتجول فى الطريق يمينا وشمالا وتتوعده إذا خالف ما أمرته به . تعالى الله عما تقولون ﴿**وما ربك بظلام للعبيد**﴾ كيف يصح زعمكم وهو يقول سبحانه وتعالى : ﴿**وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا**﴾ وقال : ﴿**رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل**﴾ فأية حجة قامت وأى فائدة حصلت بإرسال الرسل بكلام لا يفقهه أحد من البشر إلا أوائل الأمة . إلا أن تقولوا أرسلت الرسل إلى الأولين دون الآخرين . وما ذلك منكم ببعيد . قال تعالى :

﴿ليدبروا آياته﴾ والتدبر لا يكون إلا بعد الفهم التام. علام يتدبرون. وهم لم يفهموا شيئا. وقال تعالى: ﴿إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾ فأية فائدة للعباد فى بقاء القرآن وحفظه وهم لم يفقهوا منه معنى حرف واحد. وقال تعالى: ﴿ولقد يسرنا القرآن للذكر﴾ علام يتفكرون ويعتبرون وهم لم يفقهوا شيئا منه صدق الله العظيم وأنتم الكاذبون. لاشك بأن فقه القرآن والحديث باق مستمر. لما أخرجه الترمذى. عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه أنه قال قال رسول الله ﷺ «نضر الله امرأ سمع منا شيئا فبلغه كما سمعه فرب مبلغ أوعى من سامع» وفى رواية أفقه. وهذا الحديث هو الذى يدحض زعمكم الفاسد لأنه أفاد بأن بعض المبلغين أوعى له من سامعه قال العلماء معناه قد يأتى فى آخر الزمان من هو أفقه من سامعه، وصرح المهلب بهذا اللفظ، ذكره عنه ابن حجر فى فتح البارى. وهذه الأدلة تبطل زعمكم الخاطىء من كون كل حامل القرآن والحديث كصندوق اللهو المحْدِثُ هو الذى فيهما يحفظ الألفاظ التى ألقيت عليه ويؤديها ولا يفقه منها شيئا والسامع لهما كسامع أصوات الحيوان يسمع الصوت ولا يعلم منه معنى فأما الكتب الفقهية التى بأيديكم اليوم وتنسبونها إلى الأئمة البرءآء منها هى بالحقيقة ليست للأئمة ولا لتلامذتهم سوى كتاب أو كتابين أو ثلاثة لبعضهم وهى مع قلتها مهجورة. وأما المستعملة الآن عندكم البالغ عددها الألوف فهى للمتأخرين: متونها. وشروحها. وحواشيها. لمجتهدى المذهب ومجتهدى الفتوى وهلم جرا. وصرتم تبسطون وتختصرون فى الأحكام كيف شئتم بدون ملاحظة الدليل إنما تلاحظون أشد الملاحظة لقواعد المذهب وهو دليلكم الأكبر ثم نسبتم الجميع إلى الأئمة لتروجوا بها مذاهبكم المحدثة بعدهم. لعلمكم أن الناس يظنون

بهم الخير وهذا أصل عظيم للشيطان يوحيه ويوجسه فى قلب كل مبتدع . الأول حين يبتدع بدعة يأمره أن ينسبها إلى آل بيت النبى ﷺ أو أشراف الناس الذين اشتهروا بالعلم والفضل لكى تروج له ولو لم ينسبها إليهم لم تقبل منه بدون دليل . ثم إذا اعترض عليكم سنى قائلا إن عملكم هذا بدعة لا أصل له من الكتاب والسنة ، قلتم أنتم أتباع المبتدعة بناء على الأصل الباطل المذكور آنفا لو كان بدعة ما فعله وقال به سيدنا فلان . والعلامة الشيخ فلان وإذا أتاكم بحجج تشهد بان عملكم بدعة لا أصل له قلتم له سيدنا فلان والعلامة مولانا الشيخ فلان أعلم منك ومن غيرك بالكتاب والسنة وفهم مقاصدهما . فبهذا وأمثاله قطع عليكم الشيطان وعلى كل مبتدع طريق التوبة والرجوع إلى الحق ، وفى مثل هذا . قال منذر بن سعيد :

عذيرى من قوم يقولون كلما ... طلبت دليلا هكذا قال مالك
فإن عدت قالوا هكذا قال أشهب ... وقد كان لا يخفى عليه المسالك
فإن زدت قالوا قال سحنون مثله ... ومن لم يقل ما قاله فهو آفك
فإن قلت قال الله ضجوا وأكثروا ... وقالوا جميعا أنت قرن مماحك
وإن قلت قد قال الرسول فقولهم ... أتت مالكا فى ترك ذاك المسالك

ذكره ابن عبد البر فى جامع بيان العلم .

وأما ما ذكرته من أن أحدنا لا يستطيع أن يفتى فى أقل مسألة فقهية ما لم يرجع إلى أقوال الفقهاء فإن تعنى بقولك هذا إننا لا نستطيع أن نفتى بنص الكتاب والسنة وأثر الصحابة رضوان الله عليهم فقد كذبت علينا بل إننا نفتى ونعمل بالنصوص ما وجدناها ولا نبالى بمن يخالفنا فى ذلك ، وأما إذا تعنى أننا لا نستطيع أن نفتى برأينا فأقول صدقت فى ذلك إننا لا نستطيع أن نفتى بالرأى ولو فى عود من أراك ولا

نغبط من يفعل ذلك . بل إذا لم نجد النص من أحد الثلاثة قلنا لا نعلم ولا ندرى ونرى ذلك أحد العلمين لما روى عن مسروق عن عبد الله بن مسعود أنه سمعه يقول : «أيها الناس من سئل منكم عن علم يعلمه فليقل به ومن لم يكن عنده علم فليقل الله أعلم فإن من العلم أن يقول لما لا يعلم الله أعلم إن الله تبارك وتعالى قال لنبيه ﷺ : **﴿قل ما أسألكم عليه من أجر وما أنا من المتكلفين﴾** وقال ابن القيم : قال مالك - كان رسول الله ﷺ إمام المسلمين وسيد العالمين إذا سئل عن شىء فلا يجيب حتى يأتيه الوحى من السماء - وروى عن أبى هريرة أنه قال : قال رسول الله ﷺ : «ما أدرى تبع لعين . أم لا . وما أدرى ذو القرنين نبى أم لا» وعن ابن عمر رضى الله عنهما قال : جاء رجل إلى النبى ﷺ فقال : يارسول الله أى البقاع خير . قال : «لا أدرى . فقال : أى البقاع شر . فقال : لا أدرى . قال : سل ربك . فأتاه جبريل عليه السلام . فقال يا جبريل أى البقاع خير . قال : لا أدرى . فقال : أى البقاع شر . قال : لا أدرى . فقال : سل ربك . فانتفض جبريل انتفاضة كاد يصعق منها محمد ﷺ وقال لا أسأله عن شىء . فقال عز وجل لجبريل سألك محمد أى البقاع خير فقلت لا أدرى . وسألك أى البقاع شر . فقلت لا أدرى . فأخبره أن خير البقاع المساجد . وشر البقاع الأسواق» وقال عبد الله بن أحمد : فى مسألة سمعت أبى يقول : قال عبد الرحمن بن مهدى : سأل رجل من أهل المغرب مالك بن أنس عن مسألة فقال : لا أدرى . فقال : يا أبا عبد الله تقول لا أدرى؟ قال : نعم فابلغ من ورائك أنى لا أدرى . . وسئل الشعبى عن مسألة فقال : هى زباء هلباء ذات وبر لا أحسنها ولو ألقيت على بعض أصحاب رسول الله ﷺ لأعضلت به وإنما نحن فى العنوق ولسنا فى النوق . فقال له أصحابه : قد استحينا لك مما رأينا منك . فقال : لكن الملائكة المقربين لم تستح حين قالت : **﴿لا علم**

لنا إلا ما علمتنا﴾ ذكر الجميع ابن عبد البر فى جامع بيان العلم. إلا ما روى عن مالـك فإنـه ذكـره الفـلانى فى إيقاظه. وأما ما افتخرت به بأن الفقهاء هيأوا لكم من المسائل ما كان وما لم يكن متوقعاً فمردود عليك من وجهين. أولا: قد أكمل لنا نبينا ﷺ ديننا ولم يترك شيئا لتكمله لنا أنت وفقهـاءك. قال تعالى: ﴿اليوم أكملت لكم دينكم﴾ وقال النبى ﷺ: «تركتكم على البيضاء ليلها كنهارها» وقال مالك قبض النبى وقد تم هذا الأمر واستكمل.. وثانياً: البحث عما لم يقع: خلاف سيرة السلف بل كانـوا ينهـون عن السؤال عما لم يكن والافتـاء بما لم يكن. وكـان عمر بن الخطـاب يقـول: (إياكم وهذا العضل فإنها إذا نزلت بعث الله إليها من يقيمهـا ويفسـرها) وعن ابن عمر رضى الله عنهما قال: (يا أيها الناس لا تسألوا عما لم يكن فإن عمر كان يلعن من يسأل عما لم يكن) وكان زيد بن ثابت إذا سألـه إنسـان عن شىء قال الله أكـان هذا فان قال: نعم. نظر وإلا لم يتكلم - إن عبد الملك بن مروان سأل ابن شهاب عن شىء فقال له ابن شهـاب: أكـان هذا يا أمير المؤمنين. قال: لا. قال: فدعه فإنه إذا كان أتى الله له بالفـرج - وسأل مسـروق أبى بن كعب عن مسألـة. فقـال: أكـانت هذه بعـد. قال: لا. قال: فاجمنى حتى تكـون. وعن خارجـة بن زيـد بن ثابت عن أبيـه انـه كان لا يقول برأيه فى شىء حين يسأل عنـه حتى يقـول أَنَـزَلَ أم لا. فإن لم يكن نزل لم يقل فيه وان يكن وقع تكلم فيه. ذكره الفلانى فى إيقاظه.

قال المقلد: كيف تجرأت بالعمـل بالكتـاب والسنة وأنت لا تعلم ولا تدرك معـانيهـما ومـا أريد منهما ولا تعلم الناسخ من المنسوخ ولا تعلم صحيح الحديث من ضعيفه.

قال السلفى : ﴿لا يكلف الله نفسا إلا وسعها﴾ إنى لم أحضر زمن النبوة لآخذ الحديث بالمشافهة . ولا زمن رواة الحديث لكى أستفيد منهم حالة الرواة ولكن الله سبحانه وتعالى حفظ كتابه العزيز بنفسه وحفظ سنة نبيه ﷺ برجال وفقهم لحفظها فحفظوها بحفظ الله من كل غش أدخلته المبتدعة وغيرهم من الغفلة . وإنى متبع لهم فيما هذبوه ونقحوه وهم أمناء فى هذا الشأن باعترافك . وكذلك كتب اللغة والتفاسير مدونة موجودة بأيدينا وفيها تفسير الشارع الإمام الأعظم والرسول الأكرم ﷺ وأصحابه الكرام وتابعيهم وتبع التابعين ومن تبعهم بإحسان رضوان الله عليهم . فالفهم الذى أفهم به كلام الفقهاء من باب أولى أن أفهم به كلام هؤلاء الكرام . وأقول أيضا على فرض صحة ما تدعيه بأن الفقه هو من كلام الأئمة وهم تبع التابعين .

فأنت تعترف لى وتقر بأنى أفهم كلامهم الذى تدعونه الفقه فما المانع من أن أفهم كلامهم المسمى بالتفسير وشرح الحديث والكل بلسان عربى مبين . وأيضا على فرض صحة دعواك بأنى لا أفرق بين الحديث الصحيح وغير الصحيح . أقول : أولا : حسبى من ذلك أن إمامى رسول الله ﷺ . ثانيا : لأن أعمل بالحديث الضعيف وأخطىء فيه وأنا قاصد اتباع النبى ﷺ خير لى وأعذر لى عند ربى من أن أعمل بمحض آراء الرجال كما ذكر نحوه عن الإمام أحمد بن حنبل قال عبد الله ابن أحمد سألت أبى عن الرجل يكون ببلدة لا يجد فيها إلا صاحب حديث لا يعرف صحيحه من سقيمه . وأصحاب الرأى فتنزل بهم النازلة فأيهما يسأل؟ فقال : يسأل أصحاب الحديث ولا يسأل أصحاب الرأى لأن ضعيف الحديث أقوى عندنا من الرأى . وأخبر عبد الله أيضا عن أبيه أنه قال :

دين النبي محمد إخبار ... نعم المطية للفتى آثار
لا ترغبن عن الحديث وآله ... فالرأى ليل والحديث نهار
ولربما جهل الفتى أثر الهدى ... والشمس بازغة لها أنوار

ذكره ابن عبد البر فى جامع بيان العلم

وقال أبو بكر بن أبى داود :

ودع عنك آراء الرجال وقولهم ... فقول رسول الله أزكى وأشرح
ولا تك من قوم تلهَّوا بدينهم ... فتطعن فى أهل الحديث وتقدح

ذكره الذهبي فى العلو . وقال غيرهما :

أهل الحديث هم أهل النبى وإن ... لم يصحبوا نفسه أنفاسه صحبوا

وقال آخر :

ولو لم يقم أهل الحديث بديننا ... فمن كان يروى علمه ويفيد
هم ورثوا علم النبوة واحتووا ... من الفضل ماعنه الأنام رقود
وهم كمصابيح الدجى يهتدى بهم ... وما لهم بعد المات خمود
عليك ابن غياث لزوم سبيلهم ... فجالهم عند الإله حميد

قال ابن عبد البر وأنشد . للصولى عن المراغى . قال أنشدنى . أبو العباس الطبرى . عن أبى سعيد الطبرى . قال أنشدنى . الحسين ابن علي بن الحسين بن علي بن عمر بن علي رضى الله عنه لنفسه . وكان من أفضل أهل زمانه .

تريد تنام على ذى الشبه ... وعلك إن نمت لم تنتبه
فجاهد وقلد كتاب الإله ... لتلقى الإله إذا مت به
فقد قلد الناس رهبانهم ... وكل يجادل عن راهبه
وللحق مستنبط واحد ... وكل يرى الحق فى مذهبه
ففيما أرى عجباً غير أن ... بيان التفرق من أعجبه

ذكره ابن عبد البر فى جامع بيان العلم

قال المقلد : إذا أنت صرت مقلداً لرجال الحديث والتفاسير كما قلدت أنا الفقهاء فصرنا أنا وأنت فى التقليد سواء . ومن قلدتهم أنت أكثر ممن قلدتهم أنا . ففيم تجادلنى بعد .

قال السلفى : دع عنك المغالطة . فليس سواء أنا وأنت إن صح تقليدى فشتان بين من قلد الرجال فى كتاب الله تعالى وسنة نبيه محمد ﷺ وبين من قلد الرجال فى محض آرائهم . . أما أنا فمن فضل الله على أنى متلق من رجال الحديث والتفاسير حكم ربى سبحانه وتعالى . وحكم نبي محمد ﷺ الذى أمرنا الله أن نتبعه فيما جاء به ونتجنب عما نهانا عنه قال تعالى : **﴿وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا﴾** وقال : **﴿وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم﴾** وقال : **﴿اتبعوا ما أنزل إليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه أولياء قليلا ما تذكرون﴾** وقال : **﴿ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا﴾** وقال : **﴿فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم﴾** وقال : **﴿وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول فإن تولوا فإنما عليه ما حمل وعليكم ما حملتم وإن تطيعوه تهتدوا وما على الرسول إلا البلاغ المبين﴾** وقال : **﴿ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون﴾** وقال : **﴿ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون﴾** وقال : **﴿ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون﴾** فأكد وكرر سبحانه وتعالى فى أمر واحد لعظم مخالفة الله والرسول ﷺ وقال تعالى : **﴿ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام لتفتروا على الله الكذب﴾**

والآيـات المـوجبة اتباع الكتاب والسنة دون غيرهما كثيرة جدا فى القرآن العظيم . وقـال النبى ﷺ : «لا يؤمن أحـدكم حتى يكـون هواه تبعـا لما جئت به» وعن العرباض بن سارية رضى الله عنه . قال صلى بنا رسول الله ﷺ ذات يوم ثم أقبـل علينـا بوجهـه فوعظنا موعظة بليغة ذرفت منها العيـون ووجلت منهـا القلوب . فقال رجل يارسول الله كأن هذه موعظة مودع . فما تعهد إلينا . (فقال أوصيكم بتقوى الله تعالى والسمع والطاعة وان كان عبـدا حبشيـا فانه من يعش منكم بعدى فسيرى اختلافا كثيرا فعليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين المهديين تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة) أخـرجـه الـترمذى وأبو داود . وروى عن مالك بن أنس قال : بلغنى أن النبى ﷺ قال : (تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما تمسكتم بهما كتاب الله وسنة رسوله) وقد صح عن ابن مسعود رضى الله عنه إنه قال : أغد عالما أو متعلما ولا تكن إمّعـة . فأخْـرَجَ الإمّعـة من زمـرة العلماء والمتعلمـين . ومعنى إمعة لغة من لا رأى له . وهى صفة معشر التقليد حيث يعتدون بآراء الـرجـال بدون بصيرة كالجمل المذلل ينقاد ولا يدرى إلى أين يقاد أإلى المجـزرة أم إلى المنهـل والربيع . وكذلك المقلد لا يدرى بما يعمل . كما قال ابن الجوزى فى تلبيس إبليس . اعلم أن المقلد على غير ثقة فيما قلد وفى التقليـد إبطـال منفعة العقل لأنه خلق للتأمل والتدبر وقبح بمن أعطى شمعـة يستضىء بها فيطفئهـا ويمشى فى الظلمـة وقـد صدق أبو العتاهية فى قوله :

وليس بحكم من لا يبـالى ... أأخطأ فى الحكـومة أم أصابا

والأحاديث أكثر فى هذا الباب من أن تحصى . فإن رمت أن تطلع على بعضها فراجع الشفاء للقاضى عياض رحمة الله عليه : فإنه ذكر فيه ما يكفى ويشفى الغليـل من الكتـاب والسنـة . وأقـوال علماء السنـة فى

فضل وجوب طاعته واتباعه ﷺ . والحاصل أن الأخذ بكتاب الله تعالى وسنة نبيه ﷺ ليس من التقليد بل هو اتباع لمن لابد من اتباعه وعلى الفرض انه يدعى تقليدا فليس هو مثل تقليدكم للرجال بدون دليل بل هو الدين المشروع وهو الصراط المستقيم الذى أمر الله به عباده أن يتبعوه ومن خالفه منهم أَوْعَدَهُ بسقر. فإن جعلتنا لهذا من المقلدين فكذلك تكون أئمتكم المجتهدون مقلدين لمن كان قبلهم الذين ينقلون عنهم القرآن والحديث . إلا أن تقول كان يوحى عليهم . فعلى هذا الا تجد أحدا إلا وهو مقلد لمن قبله ولكن ليس كل ما أدعى تقليدا مذموماً لدى أهل العلم . فإن نسبتنا إلى التقليد لأخذنا بالكتاب والسنة وأقوال علماء السنة فنعم التقليد ونعمت النسبة . اللهم زد وبارك حسبنا شرفا نسبتنا إلى النبى ﷺ .

قال أبو بكر الهذلى قال لى الزهرى ياهذلى يعجبك الحديث قلت : نعم . قال : أما انه يعجب ذكور الرجال ويكرهه مؤنثوهم . ذكره ابن عبد البر فى جامع بيان العلم . ولكن الأسف كل الأسف على من قلد الرجال فى آرائهم بدون أن يعلم ماذا حكم الله فيما يعمل . بل إذا جاءك حكم الله تعالى ورسوله ﷺ على خلاف ما فى مذهبك رميت به يمنة ويسرة نصرة لمذهبك وقلت فيهما ما شاء شيطانك وهواك أن تقول فيهما .

وإذا أحل لك الفقهاء شيئا أحللته . وإذا حرموا عليك شيئا حرمته بدون ريب وتوقف وأنت ترى ذلك أهدى سبيلا ولا تدرى إنك تكون بذلك عابداً لهم من دون الله تعالى . ولم يكن معنى العبادة سوى الطاعة . ولم تكن الطاعة المطلقة إلا لله ولرسله صلوات الله عليهم .

قال المقلد : حاشانا من أن نعبدهم إنما هم علماؤ نا نأخذ ونتلقى

عنهم أمر ديننا كما أمرنا الله تعالى . قال تعالى : **﴿فاسئلوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمـون﴾** وقـال النبى ﷺ : **«قـد سن لكم معـاذ فاتبعوه»** هذا دليل التقليد .

قال السلفى : لقـد قال عدى بن حاتم رضى الله عنـه كما قلت حين سمـع النبى ﷺ يقـرأ هذه الآية **﴿اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله والمسيـح بن مريم﴾** قال فقلت له إنـا لسنـا نعبدهم . قال : «أليس يحرمـون ما أحـل الله فتحرمونه ويحلون لكم ما حرم الله فتحلونه» قال : فقلت بلى . قال : «تلك عبـادتهم» رواه أحمـد والـترمذى قال ابن عبـد الـبر وقـد احتج العلماء بهذه الآيات لإبطال التقليد ولم يمنعهم كفر أولئك من الاحتجاج بها لإبطال التقليد لأن التشبيه لم يقع من جهة كفر أحـدهما وإيـمان الآخر وإنما وقع التشبيه بين التقليدين بغير حجة للمقلد أما ما ذكرته ان الله أمركم أن تسألوا أهل الذكر. نعم . أمركم أن تسألوا أهـل الـذكـر عن الـذكر. ولم يأمركم أن تعارضوا بآراء أهل الذكر الذكر وتجعلوهـا معيـارا للذكـر، بل الـذكـر هو المعيـار. كما قال العـز بن عبـد السـلام : الشـرع ميـزان يوزن به الـرجـال والأقـوال والأعمال والمعارف والأحـوال فمن رجحـه ميـزان الشـرع فهـو أرجح وأما استدلالك بقول النبى ﷺ **«قد سن لكم معاذ فاتبعوه»** فليس لك فيه حجة حيث لم يكن ذلـك سنـة بفعـل معاذ. إنما صار سنة بإقرار الشارع له وأمر الشارع بأن تفعـل الأمـة كفعله . كما لم يكن الأذان سنـة بمجرد رؤ ية زيد له بل بأمر الشارع به .

قال المقلد : لا تستدل علينا بأشياء ما تعلمها هذه الآية وردت فى أهل الكتابين الذين بدلوا دينهم .

قال السلفى : نعم إنهـا نزلت فيهم ولكن تنطبق عليـك مادمت تعمـل كعملهم وتتبـع آراء الـرجـال مخالفاً لكتاب الله والسنة المحمدية المطهرة . فإن قال لك السنى : عملك هذا مخالف للكتاب والسنة . قلت له ان إمـامى اعلم منـك ومن غيرك بالكتـاب والسنـة . أو قلت لعـل لإمامى دليلا غير هذا مما لا علم لك به . أوقلت هذا محمول على كيت وكيت وتحمله على غير محمله . أوقلت هذا خاص برسول الله ﷺ بدون أن تعـلم له دلـيـل الـتخصيص . أوقلت هذا منســوخ بدون أن تعلم الناسخ له . أوقلت لعل إمامى ترك هذا لعلّةٍ علمها فيه بدون أن تعلم أنه اطلع عليه ووجد فيه مطعنا . وهذا كله تتجشمه نصرة لمذهبك لكى لا تخالفه . ومخالفة الكتاب والسنة أهون فى نفسك من مخالفة مذهبك وما أنت من صنـع أهـل الكتـابـين ببعيـد إلا أن الفـرق بينكم وبينهم هم مسحوا الرسم وأنتم مسحتم المعنى . والنتيجة والثمرة واحدة . أم ظننت أن الله أبغضهم وضللهم لكـونهم يدعـون باليهـودية والنصـرانيـة ومـا ضيعـك أنت وأمثـالـك إلا الفهم السقيم كلما أخبر الله به ورسوله قلتم هذا فى حق اليهـود وهـذا فى حق النصـارى . وهـذا فى حق كفـار قريش وهلم جرا . ولم تدركوا أن ذلك لمخالفة كتبه ورسله صلوات الله عليهم . وقـد أخـبر الصـادق المصـدوق ﷺ «أن هذه الأمة لتتبعن سنن من كان قبلهـا» فى الحـديث الـذى أخرجه الترمذى عن عمرو بن العاص رضى الله عنـه قال : قال رسـول الله ﷺ : «ليأتـين على أمتى ما أتى على بنى إسرائيل حذو النعل بالنعل» إلى آخر الحديث وأخرجه مسلم بمعناه .

قال المقلد : لولا الحكـومـة الـوهـابية لقطعنا جلدك ضرباً لتكون عبرة لأمثالك .

قال السلفى : اللهم أنصـر من نصـر الـدين ثم قال لا ضير فهذه

سنة من كان قبلكم من أمثالكم مخالفى الرسل صلوات الله عليهم . إذا انقطعت بهم الحجة رجعوا إلى استعمال القوة والبطش . وهى مرجع كل عاجز عن الحجة . وليست بشىء . إنما يشفى بها المنقطع غيظه الذى أصابه بالانقطاع كما ذكر الله تعالى عن قوم إبراهيم صلوات الله عليه حين حججهم ﴿**قالوا حرقوه وانصروا آلهتكم**﴾ وقال قوم شعيب لشعيب صلوات الله عليه ﴿**ولولا رهطك لرجمناك**﴾ وقد همت اليهود بقتل عيسى صلوات الله عليه . وهمت قريش بقتل نبينا محمد ﷺ . وعزموا بأن يضربوه ضربة رجل واحد بإشارة من شيخهم اللعين ولكن الله حفظ رسوله كما حفظ رسله من قبله . وكان قوم نوح يضربون نوحاً صلوات الله عليه حتى يغشى عليه فهل ترى أن ذلك صار حجة للكفرة على الرسل صلوات الله عليهم . أم لا . طبعا ستقول : لا ولو فعلت ما ذكرت لن تعدو قدرك به . ولم تكن لك حجة ولم تبتدع شيئا بل لك سلف وهم من تقدم ذكرهم . فيالله العجب تنكر على العمل بالكتاب والسنة زاعماً أنى ما أفهم معانيهما ولا الناسخ من المنسوخ منهما ولا ضعيف الحديث من صحيحه وأنت أضل سبيلا ومنتغش بالباطل ولم ترفع رأسك أصلا لفهم كتاب الله تعالى وسنة نبيه ﷺ . وصرت تتعبد وتفتى بالحلال والحرام فى الفروج والأموال بأقوال الرجال بدون أن تعلم وتلتفت من أين قالوا ومن أين أخذوا . وجعلت أقوالهم قضية مسلمة لا تحتمل الخطأ . والأخذ بكتاب الله وسنة نبيه ﷺ يحتملان الخطأ وأقوال الرجال التى تتعبد بها بدون دليل مع بطلانها لم تنقل إليك عنهم لا بسند ضعيف ولا حسن ولا غير ذلك مما تنقل به الرواية ولم تعرف حقيقتهم إلا أنك تجد فى الكتب المنسوبة إليهم صفحة مملوءة من ألقابهم الضخمة المدهشة فمن الذى وثق لك نقلة الفقه . وأدخل الضعف والريب فى نقلة الحديث أولم يكن الفقه من الدين ليحتاط فى نقلته . وتعدل نقلته

كما تعدل نقلة الحديث. وهذا على فرض عصمة من نقل عنه فقهك.
وإن كان غير معصوم فتحتاج إلى تعديل الناقل والمنقول عنه. وأما
الحديث فقد نقل عن المعصوم الذى لا ينطق عن الهوى فالحاصل كان
أولى لك. أولا: أن تحاسب نفسك الباغية بمثل ما حاسبتنى به فإن ما
أنت عليه أضل سبيلا لأنك متمسك بأمر واه لا زمام ولا خطام له.
وصرت تتقرب إلى الله سبحانه وتعالى بغير ما شرع. والمتقرب إليه بغير
ما شرع لم يزده تقربه إلا بعدا منه وهو فى عمله ذلك كمن يكتب على
وجه الماء أو كمن يحمل الماء على الغربال. قال البخارى: قال سفيان ما
فى القرآن أشد على من **﴿لستم على شىء حتى تقيموا التوراة
والإنجيل وما أنزل إليكم من ربكم﴾** وأنا أقول فكذلك هذه الأمة لا
تكون على شىء حتى تقيم الفرقان وما أتى به نبيها ﷺ. ولذلك
استصعب سفيان الآية. وإلا لم يصعب عليه ضلال أهل الكتابين وما
نزل فى حقهم لأن هذه الأمة غير مكلفة بالعمل بالتوراة والإنجيل إلا ما
وافق الفرقان منهما. ثم اعلم أنت ومن تعمل بقوله سيان فى التشريع،
والتشريع لله وحده والرسول ﷺ مبلغ عن الله فقط. والذى تتبعه
محجوج بما أنت محجوج به ولا يغنى عنك من الله شيئا، ولعله أن يكون
معذورا فيما لم يطلع عليه من النصوص التى اطلعت عليها أنت
وأعرضت عنها ايثاراً لاتباعه على الكتاب والسنة. وأما أنا فلو اخطأت
فى فهم الآية أو الحديث أو عملت بحديث ضعيف أو بالمنسوخ من
القرآن والحديث حسب زعمك. فعلى كل حال إنى قاصد الحق الذى
أمرنا الله أن نعمل به فبذلك اطمع أن يغفر الله لى ويتجاوز عنى فيما
اخطأت فيه لصلاح قصدى وارجو أن أدخل فى قول القائل:

وإذا الحبيب أتى بذنب واحد   جاءت محاسنه بألف شفيع

وأما أنت فلم تقصد الحق أصلا . ولم تقصد فهم الكتاب والسنة بتاتا إنما تقصد وتتحرى أقوال الرجال من أهل مذهبك . وإذا وجدت أقوالهم تخالف الكتاب والسنة دفعتهما دفعاً نضالاً عن مذهبك ولعلها كما يدفع الشريك الغير المنصف عن شريكه . وكل من كان منكم أقدر دفعاً وأكثره صار عندكم أعظم قدراً : ويكون ذلك دليلاً على فقهه ومحافظته على مذهبه وما مثلى ومثلك إلا كمثل قوم جاءهم رسول بكتاب ملكهم حاو لجميع أوامره ونواهيه ونص كتابه هكذا . إنه من الملك الفلاني إلى من يبلغه من الرعية هذا الكتاب أنه يجب عليكم أن تعملوا بما فيه وبما يبلغكم الرسول المرسل معه هذا الكتاب فإنه لا يأمركم من تلقاء نفسه إنما يأمركم بما أمرته أن يأمركم به وينهاكم عما أمرته أن ينهاكم عنه وأنه آخر رسلي إليكم والكتاب الذى معه آخر كتبي إليكم لا يأتيكم بعده من قبلي كتاب ولا رسول ، فبلغ الرسول الكتاب وأمر ونهى حسب ما أمر.

ثم قال لهم هذا آخر كتاب الملك إليكم . وأنا آخر رسله إليكم . لا يأتيكم كتاب ولا رسول بعدى من قبل الملك قطعا . فقبلوا جميع ذلك وترك عندهم مراقبين ليكتبوا ما صنعوا . ثم طال عمر الملك حتى فنت القرون وبقى الكتاب . وما بلغهم الرسول مع خلفهم ثم بعد حين من الزمان جمع الملك الرعية لينظر فيما صنعوا . واحضر كتب المراقبين عليهم فحاسب فريقا منهم فوجد فى بعض أعمالهم ما يخالف الكتاب وما بلغهم الرسول فقال لهم لماذا صنعتم هذه الأعمال المخالفة لكتابى وما بلغكم به رسولى . ألم يأتكم الكتاب ألم يبلغكم الرسول . فقالوا بلى . ثم قالوا أما العمل الفلانى فعملناه حسب ما فهمنا من كتابك وفهم من كان قبلنا وأما العمل الفلانى فعملناه حسب ما بلغنا فلان عن فلان عن فلان إلى آخره عن رسولك الذى أمرتنا أن نعمل بما جاء به . ونحن لم نره إنما عملنا

بما بلغنـا عنـه . وبـادرنـا إليه طاعة لك فإن علمت أن ما بلغنا وعملنا به خلاف ما أتى به رسـولـك من عنـدك اللوم على المتقول على رسولك . ونحن لا نعلم الغيب تؤ اخذنا بما لا طاقة لنا به . وقد قلت فى كتابك لا أكلفكم بما لا طاقـة لكم به . فقـال لهم الملك . لماذا تتثبتـوا فقـالـوا معتذرين . إنا لم ندرك أحداً ممن لقى رسولك لكى نتثبت منه ولا الذين يلونهم ولا ولا ولا . ثم حاسب الفريق الثانى فوجد فى بعض أعمالهم ما يخالف الكتـاب ومـا بلغهم الرسول . فقال لهم الملك . لماذا صنعتم هذه الأعـمال المخـالفـة لكتـابى ومـا بلغكم به رسولى . ألم يأتكم الكتاب ألم يبلغكم الـرسـول . فقالوا . بلى . ولكن عملنا بما وجدنا فى كتاب مولانا الشيـخ فلان ومـولانـا الشيـخ فلان وفلان . فقال لهم الملك إنى لم أرسل إليكم رسـلاً ولا كتبـا إنـما أرسلت إليكم كتـابـاً واحـداً ورسـولاً واحداً وأنبأتكم إنهـما آخـر كتبى ورسلى . قالوا . معتذرين إننا كنا فى آخر زمان فوجـدنـا أنـاساً من أهل الخير والخبرة عاملين بهذه الكتب وأرشدونا بأن نعمـل بها ، وقـالـوا لنا كلام الملك وكلام رسوله كلام بليغ لا تستطيعون فهمهما بل يضلكم الأخذ بظاهرهما لقصور فهمكم . وأرشدونا بأن نعمل بكتب المشـايـخ المـذكـورين وقالوا لنا إنها حاوية جميع ما فى كتاب الملك ومقـاصـده منـه ومـا بلغ به رسـوله ومقاصده مما بلغ . فعليكم بها عضوا عليهـا بالنـواجـذ فان تمسككم بها كتمسككم بكتـاب الملك وما جاء به رسوله من عنده فقال لهم الملك ألم أقل لكم فى كتابى . لا أكلفكم بما لا طاقة لكم به . قالوا بلى فالفريق الأول هو مثلى ومثل أصحابى وأمثالى .

والفـريق الثـانى هو مثلك ومثـل أمثالك . انتظر يوم اللقاء تر أينا أعـذر وعـذر أينـا أقبـل . وحاصل معذرتنا ومعذرتكم . أن تقول أخطأنا

ونحن قاصدوا اتباع نبينا ﷺ . وتقولون أخطأنا ونحن قاصدوا اتباع أئمتنا رحمهم الله . قال تعالى : **﴿قل كل متربص فتربصوا فستعلمون من أصحاب الصراط السوى ومن اهتدى﴾** .

قال المقلد : بَخٍ بَخٍ بلغ بك علمك إلى حد تتكلم به على أهل المذاهب وأئمتهم وأنت غير صالح أن تكون تلميذاً لهم ولا أقل من ذلك وتعترض على من لست له بكفء أما تستحى . . .

قال السلفى : هذا حظك من الحجة ولاشك فى فضل الأئمة الأربعة وأنهم خير منى ومن أمثالى بمراحل ولكن لا يلزمنى بذلك أن أترك كتاب الله تعالى وسنة نبيه ﷺ وأتبعهم فيما اجتهدوا فيه أو نسب إليهم وهم برءاء منه بعد ما استنارت الحجة من الله ومن رسوله ﷺ . وحاشا أن أتكلم عليهم ولا ينبغى لى ذلك بل يستحقون منى الثناء الجميل والدعاء الصالح . وأنا أولى بهم منكم لأنهم أئمة الدين بعد الصحابة والتابعين وأنا على أثرهم إن شاء الله تعالى . قال تعالى : **﴿إن أولى الناس بإبراهيم للذين اتبعوه﴾** إنما اعتراضى عليكم بأعمالكم التى تعملونها ولم ينزل الله بها من سلطان . وتنسبونها إليهم وهم برءاء منها ومما تعملون . ولو كانوا أحياء لقاطعوكم ولتبرءوا منكم . وكانوا رحمة الله عليهم يُؤْثرون الكتاب والسنة على قول أىّ واحد كائنا من كان . ثم الصحابة رضوان الله عليهم خلاف ما أنتم عليه اليوم . وهذه أقوال الصحابة والتابعين وتابع التابعين والأئمة الأربعة ومن تبعهم بإحسان . تقضى عليك بأن تتبع الكتاب والسنة . ثم الأثر وها أنا أذكرها لك مختصرة . ومن ذلك ما أخرجه الترمذى عن ابن شهاب أن سالما بن عبدالله بن عمر رضى الله عنهم «حدثه أنه سمع رجلا من أهل الشام وهو يسأل عبدالله بن عبدالله عن التمتع بالعمرة فقال عبدالله بن عمر: هى حلال . فقال الشامى : إن أباك كان ينهى عنها . فقال عبدالله بن

وطركم من المذهب الذى رجعتم إليه فى الجزئية رجعتم عنه إلى مذهبكم فى المسألة نفسها . وليس فى استطاعتك أن تنكر أن هذا ليس كفعل قريش فى النسيئة وأما قولك الدين يسر إلى آخره لاشك أنه يسر فى نفسه ثم إذا حدث عذر للمؤمن يصير أيسر وأيسر بحكم الله تعالى ورسوله ﷺ بدون تحيل بحيل الرجال التى لا تسمن ولا تغنى إلا أن ترميك فى المهالك . وذكر عن عبدالله بن المبارك - انه سئل عن رجل حلف بالطلاق ان لا يتزوج . ثم بدا له ان يتزوج هل له من رخصة أن يأخذ بقول الفقهاء الذين رخصوا فى هذا . فقال ابن المبارك : إن كان يرى هذا القول حقا من قبل أن يبتلى بهذه المسألة فله أن يأخذ بقولهم فأما من لم يرض بهذا فلما ابتلى أحب أن يأخذ بقولهم فلا أرى له ذلك . رواه الترمذى . هذه حكومة عدل . وهكذا ذكرته لك للفرقان الذى بين أصل عملهم وعملكم ورجوعهم ورجوعكم . ولكن رجوع العلماء الذى استدللت به هو نفسه حجة عليك لإبطال التقليد بإقرارك إنها تصدر عنهم أقوال وأفعال متناقضة ومن هذا صفته لا يجوز لمسلم أن يقلده دينه . لعدم ثبوته على قول وعمل واحد . اليوم يقول قولا ويعمل عملا وغداً يرجع عنه . وما يدريك أن إمامك رجع عن اجتهاده الذى أنت متمسك به لدليل وجده فإن قلت إمامى لا يقول أصلا إلا بالدليل . وغيره هو الذى يقول بدون دليل . قلت كيف علمت أن إمامك قال بالدليل وقد أقررت أنك لا تعلم الدليل ولا تفقهه ولذلك تقول قلدته . ما للأعمى ونقد الدراهم . فإن رجعت عن قولك السابق وأعترفت أنك تعلم الدليل وتفقهه فقد ابطلت استدلالك السابق وأصبحت من أهل الأدلة كإمامك وطولبت بالأدلة التى قال بها إمامك . وبدون شك لن تجد لكل مسألة فقهية فرضتموها دليلا . وقد كانت تخفى بعض السنن

عن الصحابة الكرام فضلا عنك وعن إمامك . وقد قال القائل :

إذا أعيا الفقيه وجود نص تعلق لا محالة بالقياس

وهذا أبو بكر الصديق وعمر الفاروق رضى الله عنهما قد خفيت عنهما بعض السنن مع سعة علمهما وملازمتهما لرسول الله ﷺ خفى على أبو بكر توريث الجدة . وخفى على عمر توريث المرأة من دية زوجها وحديث الجنين . وحديث الاستئذان كونه ثلاث مرات . فإن خفيت بعض السنن عنهما فحرى أن تخفى على غيرهما . فإذا اعترفت ان إمامك غير محيط بالسنة . قلت . هل ترى ان إمامك معصوم عن الخطأ فيما اجتهد فيه أم يجوز عليه الخطأ . فإن قلت بالعصمة فلا سبيل لك إليه وان قلت بعدم العصمة ، قلت ما يؤمنك ان إمامك أخطأ فى بعض ما أنت مقلده فيه . فإن قلت خطؤه مغفور له ولمن تبعه . كذلك قلت نعم . هو مغفور له لبذله ما فى وسعه من الجهد طالبا للصواب . وأنت مأزور لعدم طلب الحق ولتركك النصوص التى كان هو فاقدها بعد ما اطلعت عليها إيثاراً لقول إمامك فبهذا افترقتما . والله الموفق للصواب . وأما قولك إنكم على أثر الصحابة وأن اختلافكم كالاختلاف الذى كان بينهم رضى الله عنهم . فيا حبذا من دعوى لو صحت . وذلك ما كنا نبغى وضالتنا التى نناشدكم إيّاها وتنكرونها علينا ولكن أين الثرى من الثريا هيهات هيهات بين اختلافهم واختلافكم لأن اختلافكم هو عين مخالفتهم ومن أنى لك أن تستدل باختلافهم على اختلافكم ، إنما هو قول الحق أردت به الباطل لتوهم بمجرد لفظ الاختلاف على الجهلة . مع أنك تعلم أنى لم أنكر ولم أنف اختلاف أهل العلم فى النصوص وفى فهم النصوص . إنما انكرت عليك ترك العمل بالكتاب والسنة . واستبدالهما بالآراء . وإيجاب تقليد الأئمة الأربعة . وحصر الحق فى مذاهبكم الأربعة . ورد ما عدا ذلك سواء جاء ذلك فى الكتاب والسنة أو

الأثر. وجعل علة حل الأشياء وتحريمها على العباد وصحة أعمالهم وبطلانها مجرد الانتساب إلى مذهب فلان وفلان بدون دليل. هذا الذى انكرته عليك. وأما اختلاف الصحابة الذى زعمته أنه حجة لك لم يختلفوا لعصبية مذهب الآباء والأجداد والوطن مثلكم. ولم يجعلوا الحق قسمة بينهم. إنما كان اختلافهم رضى الله عنهم بالنصوص وفى فهمها. والاختلاف بالنصوص وفهمها ليس كمثل اختلافكم المذهبى. بل هو علم وفهم يؤتيه الله لمن يشاء من عباده. قال تعالى ﴿ففهمناها سليمان وكلا آتينا حكما وعلما﴾ أثبت سبحانه وتعالى العلم للطرفين وأثبت لسليمان إصابة الحق. وهذه الآية من الأدلة التى تفيد أن الحق عند الله واحد. ولعل أن يكون الاختلاف فى عصر الصحابة أكثر ممن بعدهم. وهو الظاهر لتفرق الأحاديث فى صدور الرجال فى عصرهم. ولم تكن مدونة مجموعة إذ ذاك كاليوم وذلك الذى صار سببا لاختلافهم فى النصوص. وكل واحد منهم كان يعمل ويفتى بما عنده من النصوص وما يستنبطه منه ولم يجدوا فراغا لملازمة النبى ﷺ لكثرة شواغلهم وغيرها من أمر المعاش وكانوا مَهَنَةَ أنفسهم. ولم يكن لهم خدم يغنونهم عن العمل كما قالت عائشة رضى الله عنها فى حديث غسل الجمعة. فلذلك كان يغيب بعضهم عن مجلس النبى ﷺ أحيانا ويحضره أحيانا. فيكتسب الحاضر علما لم يكتسبه الغائب وقد يغيب الحاضر ويحضر الغائب فيكتسب علما لم يكتسبه الغائب. وقد يحضر بعضهم الحديث الناسخ ولم يحضره من له علم بالمنسوخ وقد يحضر بعضهم الحديث العام وبعضهم الخاص، وقد يحضر بعضهم الحديث المطلق وبعضهم الحديث المقيد وهلم جرا. فيعمل كل واحد منهم ويفتى بما عنده من النصوص وما يستنبطه منها حتى يبلغهم عن الشارع ما يخالف ما لديهم. وكان بعضهم يعدى حكم المنصوص عليه إلى غير المنصوص عليه بالعلة

الجامعة بينهما وبعضهم كان يقف على حد النص ولم يقس كرضاع سالم قاست عليه عائشة غيره وبقيت أمهات المؤمنين لم يقسن عليه رضى الله عنهن وهكذا كان التابعون لهم بإحسان المنسوبة إليهم الدعاوى العظام التى هم برءاء منهـا . ثم بعـد اختـلافهم رضى الله عنهم فى الاجتهـاد والاستنباط وغيره إذا بلغهم حكم عن الشارع مخالف لما هم فيه تركوا ما لديهم وبـادروا إلى الحق واعتنقـوه وفـرحـوا به أشـد الفـرح . ولم يقـولوا كقـولكم هذا ليس دليلنـا بل دليـل الفلانيين . إذا لم يكن وفق مذهبكم ومن ذلك ما رواه الشافعى عن سفيان عن الزهرى عن ابن المسيب . أن عمـر كان يقـول (الدية للعاقلة ولا ترث المرأة من دية زوجها شيئا) حتى أخـبره الضحـاك بن سفيان أن رسول الله ﷺ ـ كتب إليه أن ورث امرأة أشيم الضبـابى من ديتـه فرجـع إليه عمر رضى الله عنه . وقال ابن عمر رضى الله عنهـما (كنـا نخـابـر ولا نرى بذلـك بأساً حتى زعم رافع . أن رسول الله ﷺ نهى عنها فتركناها من أجل ذلك) وقال عمرو بن دينار عن سالم بن عبدالله رضى الله عنه ـ أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه نهى عن الطيب قبل زيارة البيت وبعد الجمرة . فقالت عائشة رضى الله عنها (طيبت رسـول الله ﷺ بيـدى لاحرامه قبل أن يحرم ولحله قبل أن يطوف بالبيت وسنـة رسـول الله ﷺ أحق) . قال الشافعى ـ ترك سالم قول جده لروايتهـا ـ قال ابن عبـدالـبر وابن تيميـة هذا شأن كل مسلم . لا كما تصنعه فرقة التقليد ـ ذكره الفلانى فى إيقاظه . وهذا قليل من كثير . مما لا تسـع ذكـر أفـراده فى هذه الرسالة . وما كانوا رضى الله عنهم يرون أن الشىء الـواحـد والعمـل الـواحـد يكون مباحا وجائز البعض المسلمين لانتسابهم إلى مذهب عالم من العلماء . وباطلا ، وحراما فى حق بعضهم لانتسابهم إلى عالم آخر بعلة الانتساب لا بالدليل . بل كان أحدهم إذا علم حكـما من الكتـاب والسنـة اعتقـد ذلـك لجميـع الأمـة وكذلك إذا

استخرج حكماً باجتهاده اعتقد ذلك لجميع الأمة فى الحل والحرمة وإن خالفه فى ذلك غيره من أهل العلم. ولا نكارة فى اختلاف أهل العلم فى النصوص وفهمها وفى كيفية استخراج الأحكام منها. واستنباط الدليل للأحكام التى لم يرد بها النص أو ورد بها ولكن لم يطلع عليها بعضهم. وإنما النكارة والخيبة على من يتمادى فى الباطل بعد وضوح الحق من الله ومن رسوله ﷺ للتعصب المذهبى. ومثل اختلاف الصحابة رضى الله عنهم ومن نحا نحوهم هو علم وفهم يؤتيه الله لمن يشاء من عباده. ولاشك بأن أهل العلم يتفاوتون فى الفهم والاستنباط بعضهم ما لم يستطع أن يستنبطه البعض الآخر. ولكن لا يلزم من ذلك أن كل من كان منهم أقوى فهما وأكثر علماً أنه لا يخطىء. وأنه يتبع بعد ظهور الحجة من الكتاب والسنة المخالفة له للعلها ولعلها. كما ذكر ابن القاسم. عن مالك أنه قال. ليس كل ما قال رجلُ قولاً يتبع وإن كان له فضل. لقوله تعالى ﴿**الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه**﴾ وكان سعيد بن المسيب يقول: ليس من عالم ولا شريف ولا ذى فضل إلا وفيه عيب ولكن من كان فضله أكثر من نقصه ذَهَبَ نقصه لفضله كما أن من غلب عليه نقصانه ذهب فضله. وقال غيره. لا يسلم العالم من الخطأ. فمن أخطأ قليلا وأصاب كثيراً فهو عالم ومن أصاب قليلا وأخطأ كثيراً فهو جاهل. ذكره ابن عبدالبر. ولم يكن الصحابة رضى الله عنهم أحزابا فى الدين ولم يتخذ منهم عدد معين أئمة تتبعهم العوام كالبوادى ونحوهم لا يقبل كل فريق منهم إلا ما نقل عن إمامهم بل كان العامى فى عصرهم يسأل أى عالم يجده فيفتيه العالم ولا يسأل العالم عن مذهب العامى. ولا يسأل العامى عن مذهب العالم لعلم الطرفين بأن دين الإسلام واحد وحكم الله فيه واحد والحق واحد لا يتغير بالانتساب إلى المذاهب لاتحاد الحق. وأما اختلافكم أنتم اليوم أعاذنا الله منه هو خلاف لاختلاف.

إنـما هى أصـول أصلتمـوهـا واخترعتموها من أنفسكم وجعلتموها دينا يعبد به الله سبحانه وتعالى على ما أنزل فى كتابه وكلفتم العوام العمل بها. وأوجبتم عليهم أن يتبع كل شخص منهم مذهب أبويه وأهل بلده وحـرمتم عليهم مخالفـة مذاهبهم التى نشأوا فيها مطلقا سواء فى ذلك ما خالف الكتـاب والسنـة والأثر. أم لا. وجعلتم عهدة الأدلة على الأئمة الـبرءاء، وحصـرتم الحق بين الأربعة المذاهب وجعلتموه قسمة بينكم. وما جاء مخالفا للأربعة المذاهب فهو باطل لا يقبل من حيث أتى لا من الكتـاب ولا من السنــة ولا من الأثـر. بنـاء على أن الحق محصـور فى المـذاهب الأربعـة. وفى الحقيقـة لو أنصفتم لوجـدتم الحق محصـورا فى الأولـين ثم الثـالث ومـا خالف ذلـك فهـو باطل من وساوس الشيطان. وجعلتم عذرا للتقليـد هو عدم استطـاعتكم فهو الكتاب والسنة من بعد الأئمـة ولكنى أراكم إذا وجـدتم من الكتـاب والسنة ما يوافق مذاهبكم فهمتم معناه واستدللتم به على مقابلكم ومناظركم ودندنتم حوله فرحين واطنبتم فيه. وإذا خالف مذاهبكم تجاهلتموه. وجهلتم غيركم ورميتم به يمينـاً وشـمالا بلعلها ولعلها. وإذا اعترض عليكم السنى على بعض أعـمالكم التى تخالف الكتـاب والسنـة والأثـر مقتمـوه وقلتم له إن إمامنا أعلم منـك وخـير منـك بالكتـاب والسنـة والأثـر فما تكـون أنت بجانبه العظيم. فإن لم يكن لإمامنا دليل ما قال به، أوقلتم هذا الحديث مؤول عندنا ومحمول على كيت وكيت وحملتموه على غير محمله. وتصرفتم فيه كيف شئتم نصرة لمذاهبكم ونضالاً عنها ثم رميتم المعترض عليكم بكل قبيـح ونسبتم إليـه ما هو برىء منـه من قول أو فعـل لكى تشينوا سمعته وتنفـروا عنـه الناس ورأيتموه كأنه مرتكبٌ كبيرةً من الذنوب بل أكبر من ذلـك. ولم يذنب إلا أنـه حكم الله ورسـولـه ﷺ وأمـر ونهى كما أمر وإذا رأيتم يومـاً أحـداً يعمـل عمـلاً يخالف بعض مذاهبكم اعـترضتم عليه

وقلتم له . لماذا صنعت كيت وكيت . فإن قال لكم فى مذهبنـــا الفـــلانى جائز رضيتم عنه وقلتم له ما شاء الله مذهبك مذهب فلان . وسررتم منه وصرتم إخواناً بذلك . وأما إذا قال لكم فعلته لما قال الله تعالى فى كتابه العـزيـز أو لما جاء عن رسـول الله ﷺ فى الحديث الذى أخرجه البخارى ومسـلم . أو أحـد مخرجـى الأحـاديث . اشمأزت قلوبكم من قولـه وسخطتم عليـه . وقلتم هذا خامسى خارج عن أهـل السنـة والجماعة . والله يعلم انكم لكاذبون . وإنه أولى منكم بالسنة وهو مع الجماعة ولكن لا تفقهون . ويحكم تغضبون على من يستدل بكتاب ربكم وسنة نبيكم ﷺ وترضون على من يستدل بأقوال الرجال . قال تعالى ﴿ما قدروا الله حق قدره﴾ ولـو قصـدتم الحق والانصـاف بدل أن تعـيروه لحاججتموه بالكتـاب والسنـة كما أمر الله تعالى بذلك . قال تعالى ﴿فإن تنازعتم فى شىء فردوه إلى الله والـرسـول﴾ ﷺ . فقـد أمـرنـا سبحـانه وتعالى أن نعـرض ما أختلفنـا فيـه من أمـر ديننا على الكتاب والسنة لكى يظهر لنا الحق من الباطل كما تعرض الصاغة التبر على النار ونحوه فيما إذا ارتابوا فيـه أو اختلفـوا فيـه . فبـالعـرض على النـار يظهـر لهم المزيف من غيره وينقطع به النزاع والريب . فكذلك بالعرض على الكتاب والسنة يظهر الحق من البـاطـل . كما قال العـز بن عبدالسلام فيما سبق ولكن لم تقبلوا العرض عليهما لأمرين :

أولهما — ما بأيديكم حجج مزيفة غير نافقة .

ثانيهما — وقر الشيطان فى قلوبكم أن جميع ما فى كتب مذاهبكم حق موافق للكتـاب والسنـة . ثم أكـد عليكم ذلك بقوله . ولكن أنتم ما تدركـون معنى الكتـاب والسنـة . وما يتبادر فى أذهانكم فهو خيال . وأما معناهما الحقيقى فلا يعلمه إلا الله . والراسخون فى العلم مثل

الأئمة الأربعة. فعليه مهما يأتيكم المناظر بالأدلة لم تقبلوا منه إنما تقولون له: إن ما نحن عليه حق وفق الكتاب والسنة ولكن نحن وأنتم ما نفقه الكتاب والسنة. وقد أخبر سبحانه وتعالى فى كتابه العزيز عمن كان قبلكم أنهم لو عاينوا الحق لقالوا مثل قولكم هذا. قال تعالى مخبرا عنهم **﴿ولو فتحنا عليهم بابا من السماء فظلوا فيه يعرجون لقالوا إنما سكرت أبصارنا بل نحن قوم مسحورون﴾** والجامع بينكم وبين من أخبر الله عنهم هو تكذيب النفس فيما تراه وتعاينه. وتكليفها وتصديقها بما لا تعاينه ولا تعلمه. وعذرتم أنفسكم بالعجز عن فهم النصوص الواضحة كالشمس كما عذروا أنفسهم بالسحر وسكر الأبصار بعد المعاينة. ثم عمدتم لمناظريكم إلى الجدل الذى أوتيتموه بدلا عن الهدى الذى كان فيه سلفكم. كما أخبر النبى ﷺ فى الحديث الذى أخرجه أحمد والترمذى وابن ماجه. عن أبى أمامة رضى الله عنه. قال قال رسول الله ﷺ: «ما ضل قوم بعد هدى كانوا عليه إلا أوتوا الجدل» ثم قرأ رسول الله هذه الآية **﴿ما ضربوه لك الا جد لا بل هم قوم خصمون﴾** ومن عجائبكم أيضا اشتغالكم بالتفاسير والأحاديث. وللحكم ترجعون إلى كتب فقهاء مذاهبكم. فكان اشتغالكم بهما اشتغالا بما لا يعنى. وما أرى مَثَلكم إلا كمثل ساكنى حرم مكة يطلبون صيد الحرم ويركبون لطلبه السهل والوعر ولا يصطادونه لأنهم يرونه محرماً عليهم اصطياده. إلا أنهم يحبون أن يروا حالاته ومواقعه فقط. فإذا احتاجوا إلى طعام عادوا إلى طعامهم المعتاد الذى لابد منه كالذين لم يطلبوا الصيد. كما تعودون للعمل إلى مذاهبكم فلم يسعدوا بطلبهم الصيد إلا بالعناء كما لم تسعدوا بطلب علم الحديث والتفسير إلا بالسهر والعناء وإقامة البينة على أنفسكم.

قال المقلد : المذاهب الأربعة قد مضى عليها ثلاثة عشر قرنا ونيف بدون نكير . فأنت جئت اليوم وصرت تنكر عليهم . وقد مضت علماء فحول خزائن العلم ولم ينكروا عليهم فما يكون إنكارك على الأربعة المذاهب إلا كمثل البعوضة تحاول ازالة الجبل عن محله كما قيل :

ياناطح الجبل العالى ليكلمه   أشفق على الرأس لاتشفق على الجبل

قال السلفى : نعم إنى لا أستطيع إزالة التقليد بعد ما أشربت القلوب حبه وورثتموه كابراً عن كابر ولكن أستطيع إن شاء الله تعالى . كلما أتيتم برأى أن أبطله بالأدلة القاطعة . كما قال القائل رحمه الله :

إذا ذو الرأى خاصم عن قياس   وجاء ببدعة منه سخيفة
أتيناهم بقول الله فيها   وآثار مبرزة شريفة

وأما قولك إن العلماء لم ينكروا فيما مضى فهو خطأ بين . العلماء لم تترك الإنكار فى أى قرن قد نهوا بل وصنفوا فى ذلك . إلا أنه لم يؤثر لتمكن التقليد من قلوب الناس . وعلى فرض أن من مضى من العلماء لم ينكر التقليد . فعدم الإنكار مع المعاينة من غير الرسول ﷺ لا يكون ذلك دليلا لتشريع ذلك الحكم .

قال السلفى : هل ترى أن أهل المذاهب الأربعة كلهم على الحق والهدى أم مذهبك على الحق وغيره على الباطل؟

قال المقلد : كلهم على الحق والهدى . واختلافهم رحمة لحديث «اختلاف أمتى رحمة» .

قال السلفى : فما دمتم ترون كلهم على الحق والهدى . لماذا تحكمون ببطلان عمل مقلد مذهب فلان . إذا عمل عملا لا يصح فى مذهبه . ويصح فى أحد المذاهب الثلاثة أو فى الثلاثة كلها . فما بعد الحق إلا الضلال . أو لم يكن إلهكم الذى يقبل عمل عامل منكم ويجزى به

ويـرده واحـد. أم لكـل صاحب مذهب منكم إلـه آخـر شرع له شريعة على حدة ولا يقبـل منـه إلا ما شرع له. أم إلـه واحد ولكن الحق متعدد عنـده. أم شرع لكـل صاحب مذهب شريعـة على حدة لا يتجـاوزهـا كالأنبياء. أبناء علات.

قال المقلد: الله واحـد وشـريعته فى الإسلام واحدة. ولا يلزم من اختلاف أهل المذهب ما ذكرت. إنما هو من سوء فهمك وقلة إطلاعك على أقوال أهل العلم.

قال السلفى: وإن لم تقولوا ما ذكرتم بألسنتكم لكن سَيْرُكم الذى أنتم عليـه اليـوم ودينكم الـذى تدينـون به ربكم سبحـانه وتعالى ينطق ويشهـد بما ذكـر وان كرهتمـوه وأنكرته ألسنتكم وهو لا يستجيزه الصبيان فضـلا عن العقـلاء وفضـلا عن العلماء. كون الله سبحانه وتعالى يقبل عمـل زيـد من المسلمـين لانتسـابـه لمذهب فلان ويـرد عمل عمرو من المسلمـين لانتسـابـه لمذهب فلان الآخـر. وقد عملا عملاً واحداً بصفة واحـدة. فإن قلت: اعـتراضـك هذا يخطىء القـرون الثـلاثة الفاضلة باتفـاق المسلمـين. أقـول: لا يشملهم ولا يشمـل من سار بسيرهم بل يخص من خالف سيرهم وجعـل يحلل ويحـرم ويجـوز ويبطل أعمال العباد بمجرد الانتساب إلى مذهب فلان وفلان بدون أى حجة من الشارع. فإن كان مذهبـــه مذهب فلان جاز عمله مما لم يجزلـــو فعله مقلد مذهب فلان الآخـــر. وحـل له ما هو محرم على مقلد مذهب فلان الآخـر. كما سوف تسمـــع من مفتيكم هذا يفتى على الأربعـــة المـذاهب. الحنفى والمـالكى والشافعى والحنبلى وهذا أول سائل له قال: ياسيدى الشيخ. مسحت على ربع رأسى. قال الشيخ: ما مذهبك؟ قال: الحنفى. قال الشيـخ: وضـوؤك جائـز. سيدى الشيخ مسحت على ربع رأسى. قال

الشيخ : ما مذهبك؟ قال : مالكى . قال الشيخ : وضوؤك باطل . سيدى الشيخ مسحت على ربع رأسى . قال الشيخ : ما مذهبك؟ قال : شافعى . قال الشيخ : وضوؤك صحيح . سيدى الشيخ مسحت على ربع رأسى . قال الشيخ : ما مذهبك؟ قال : حنبلى . قال الشيخ وضوؤك غير جائز . سيدى الشيخ تنحنحت فى الصلاة . قال الشيخ : ما مذهبك؟ قال : حنفى . قال الشيخ : صلاتك باطلة . ما لم تكن معذورا . سيدى الشيخ تنحنحت فى الصلاة . قال الشيخ : ما مذهبك؟ قال : شافعى . قال الشيخ : صلاتك صحيحة . سيدى الشيخ تنحنحت فى الصلاة . قال الشيخ : ما مذهبك؟ قال : مالكى . قال الشيخ : صلاتك جائزة . سيدى الشيخ تنحنحت فى الصلاة . قال الشيخ : ما مذهبك؟ قال : حنبلى . قال الشيخ : صلاتك باطلة . إلا أن يكون بالعذر . سيدى الشيخ أظن إذا صمت أنى أمرض . قال الشيخ : ما مذهبك؟ قال : حنفى . قال الشيخ : يجوز لك الإفطار . سيدى الشيخ إذا صمت أظن أمرض . قال الشيخ : ما مذهبك؟ قال : مالكى . قال الشيخ : إذا ظننت مرضا شديدا وجب عليك الإفطار . سيدى الشيخ أظن يصيبنى مرض إذا صمت . قال الشيخ : ما مذهبك؟ قال : شافعى . قال الشيخ : لا يجوز ذلك الإفطار . سيدى الشيخ أظن إذا صمت أنى أمرض . قال الشيخ : ما مذهبك؟ قال : حنبلى . قال الشيخ : يسن لك الإفطار ويكره لك الصيام . سيدى الشيخ خرجت من عرفة قبل غروب الشمس . قال الشيخ : ما مذهبك؟ قال : حنفى . قال الشيخ : حجك جائز ووجب عليك الدم . لترك الواجب . سيدى الشيخ خرجت من عرفة قبل غروب الشمس . قال الشيخ : ما مذهبك؟ قال : مالكى . قال الشيخ : حجك باطل . سيدى الشيخ خرجت من عرفة

قبـل غروب الشمس . قال الشيـخ : ما مذهبـك؟ قال : شافعى . قال الشيـخ : حجـك صحيـح ويندب لك الدم لترك السنة . سيدى الشيخ خرجت من عرفة قبل غروب الشمس . قال الشيخ : ما مذهبك؟ قال : حنبلى . قال الشيخ : حجـك جائز ووجب عليك الدم لترك الواجب . سيـدى الشيـخ أيحـل لى أكـل القنفذ . قال الشيخ : ما مذهبك؟ قال : حنفى . قال الشيخ : حرام عليك . سيدى الشيخ أيحل لى أكل القنفذ . قال الشيـخ : ما مذهبـك؟ قال : مالكى . قال الشيـخ : حلال لك . سيـدى الشيـخ أيحـل لى أكـل القنفذ . قال الشيخ : ما مذهبك؟ قال : حنبلى . قال الشيخ : حرام عليك . سيدى الشيخ أيحل لى أكل القنفذ . قال الشيخ : ما مذهبك؟ قال : شافعى . قال الشيخ حلال لك . سيدى الشيخ أتحل لى زوجتى المطلقة بالثلاثة إذا تزوجَتْ بشرط التحليل . قال الشيـخ : مذهبـك؟ قال : حنفى . قال : الشـرط باطـل وحلت لك إن دخـل بها مع لعنـة تصيبـك وتصيبهـا . سيـدى الشيخ أتحل لى زوجتى المطلقـة بالثـلاثـة إذا تزوجَتْ بشـرط التحليـل . قال الشيخ : مذهبك؟ قال : مالكى . قال الشيخ : لا تحل لك ما لم تنكح نكاح الرغبة ويدخل بها . سيـدى الشيـخ أتحـل لى زوجتى المطلقة بالثلاثة إذا تزوجت بشرط التحليـل . قال الشيـخ : مذهبـك؟ قال : شافعى . قال الشيـخ : هذه المسألة فى مذهب الشافعى فيها قولان . أحدهما : إن قال لها إذا حللتك للأول فلا نكاح بيننا لم تحل لك . والقول الثانى : إن قال لها إذا وطئتك فأنت طالق فعلى القـولـين أيضا فى القديم تحل لك وفى الجديد فلا تحل لك . سيـدى الشيـخ أتحل لى زوجتى المطلقة بالثلاثة إذا تزوجت بشرط التحليـل . قال الشيـخ : مذهبـك؟ قال : حنبلى . قال الشيـخ : لا تحل لك حتى تنكـح زوجـاً آخر بنكاح صحيح بدون شرط التحليل . سيدى الشيخ هل يجوز لى نكاح الشغار؟ قال الشيخ : مذهبك؟ قال : حنفى .

قال الشيـخ : اسأل عن هذه المسألـة علماء مذهبـك لعله يجوز عنـدهم بصفـة أن يفـرض لكـل امـرأة مهر مثلها . وأما أنا فلست على يقين من حكمها فى مذهبكم . وأما عندنا فغير جائز لأنه نكاح منهى عنه . سيدى الشيـخ أيجـوز لى الاقتـداء بالمتنفل وأنا أصلى مكتوبة؟ قال : مذهبك؟ قال : أفتنى بأى مذهب كان لأن قصـدى الفـائـدة . قال الشيـخ : كيف أفتيك وأنت لم تبين لى مذهبك لكى أفتيك حسب ما فى مذهبك . قال : مذهبى الكتـاب والسنـة . قال الشيـخ : آنت غير مقلد لأحـد الأئمـة؟ قال : نعم . قال : اذهب عنى أنت خامسى المـذهب التمس خامسيـا مثلك واستفتـه . قال : ياسيـدى الشيخ افتنى كما كنت تفتى للناس وكل سؤ ال دينى . قال الشيـخ : النـاس لهم مذاهب ليسـوا مثلك . قال : ياسيـدى الشيـخ ابتـغ لى أن ابتغى مذهبـا أفضـل وأهدى من الكتاب والسنة . قال الشيخ : للطلبة أخرجوه عنى هذا مضل لا يضلكم بكلامه هذا . قال : سيـدى الشيـخ ان كان المتمسـك بالكتـاب والسنـة مضـلا عنـدكم فما ترون حكم المتمسـك بغـيرهما . أفـوض أمرى إلى الله فالله المستعـان . وحسبى سيـدى الشيـخ أنى سوف أتوب إذا أخبرتنى بشىء واحـد . قال الشيـخ : ما هو؟ قال : اخـبرنى عما سيحـاسبنى به ربنـا سبحـانـه وتعالى حين ألقاه هل سيحاسبنى عما جاء به نبينا محمد ﷺ . أم سيحـاسب كل شخص منـا حسب مذهب إمـامه . فمن لقى الله منا وعمله وفق مذهب إمـامـه سلم . ومن لقيـه وعملهُ مخالف لمذهب إمـامه عطب . أرشـدنى هداك الله لكى الـزم ما عما أنـا عنه مسئول ومحاسب . قال الشيخ : اسكت أنت فى ضلالك القديم ، وهذا سؤ ال تعنت . فهل ترى هكـذا كان اختـلاف الصحابة واستفتاؤ هم وفتواهم . وهل ترى لو يرى هذه الحالة رجل عاقل خالى الذهن أيظن أن هؤ لاء أهل دين واحد ومعبـودهم واحـد . كلا . ما يفهم منهم ذلـك كيف يفهم منهم ذلك وهو

يرى كل سائل يأخذ حكمه على حدة حسب ما انتسب إليه من المذاهب. ولا يفتى له حتى يبين مذهبه. وأما احتجاجك بحديث اختلافهم رحمة فغير صالح الاحتجاج به لأنه ضعيف، وغير معقول شرعا وعقلا أن يكون الاختلاف أرحم وأولى للأمة من الاتفاق. بل الاتفاق أرحم وأولى. لحديث معاذ بن جبل وأبى موسى الأشعرى حين بعثا إلى اليمن قال لهما النبى ﷺ «اتفقا ولا تختلفا» فإذا كان هذا الأمر والنهى للشخصين ففى اختلاف الأمة أولى. قال تعالى ﴿ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا﴾ وعن ابن عباس قال قال النبى ﷺ فى مرض موته «هلموا أكتب لكم كتابا لن تضلوا بعده» قال عمر بن الخطاب حسبكم كتاب الله.. وقال غيره قربوا يكتب لكم. فلما أكثروا اللغط والاختلاف قال رسول الله ﷺ «قوموا عنى لا ينبغى عندى التنازع» متفق عليه. والحديث أطول مما ذكر. وقال النبى ﷺ. فى حديث آخر مخبرا بما سيكون بعده من الاختلاف ومحذرا عنه «فإنه من يعش منكم بعدى فسيرى اختلافا كثيرا فعليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين» ولو كان فى الاختلاف خير لما حذر عنه. والحاصل قد علم شرعا وعقلا حسن الاتفاق وقبح الاختلاف. ولا حاجة لسرد الأدلة الواردة فى ذلك.
وعلى فرض صحة الحديث يحمل على اختلافات أهل العلم فى الفهم واستنباط الأحكام للأشياء الحادثة التى لم يوجد لها نص فالناس على سعة فى ذلك، لهم أن يأخذوا بقول أى عالم ولا عتب عليهم. فعليه يكون معنى اختلافهم رحمة أى أن هذه الأمة غير مؤاخذة فيما اجتهدت فيه من أمر دينها لغير المنصوص عليه من كان منهم أهلا للاجتهاد إن أصابوا أو أخطاوا فللمصيب منهم أجران وللمخطىء أجر. والعامل بقولهم فى ذلك غير ملام ولا شك أن هذا رحمة من الله. وأما اختلافاتكم أنتم اليوم لفى معزل عما ذكر لأنها شركات عملتموها مقابل النصوص

وجعلتموها معيارا للنصوص . كل فريق منكم يرد نصا غير موافق لمذهبه . غيرة لمذهبه ونضالا عنه . مع أنه كان الواجب عكس ذلك . بأن تردوا كل قول خالف النصوص الشرعية . فإذا قلتم لابد لنا من لزوم الأقوال المنسوبة إلى أئمتنا لكان لكم لذلك سبيل بدون أن تردوا النصوص وذلك بأن يقلد كل منكم إمامه فى الحكم الذى استنبطه من النصوص لغير المنصوص عليه فإذا فعلتم ذلك فقد جمعتم بين النصوص والتقليد وإن كان هذا أيضا خلاف سبيل السلف ولكنه أهون بالنسبة إلى رد النصوص تجاهلا .

قال المقلد : تجرأت وخضت فيما لا طاقة لك به وشنعت على أهل المذاهب وخطأت الاجماع وقد جاء فى الحديث إذا أصاب المجتهد فله أجران وإذا أخطأ فله أجر . وهذا دليل واضح بأن عمل كل مجتهد ومن تبعه صحيح ومرضى وإن أخطأ فالمخطىء منهم مأجور أيضا بنص هذا الحديث فبهذا الحديث ظهر بأن اختلاف المجتهدين فى المسائل الدينية لا يقتضى تعدد الآلهة ولا اختلاف المشروع وبه بطلت جميع حججك السابقة واللاحقة .

قال السلفى : الحديث الذى ذكرته غير معروف باللفظ الذى ذكرته إنما نعرف «إذا حكم الحاكم فاجتهد ثم أصاب فله أجران . وإذا حكم فاجتهد ثم أخطأ فله أجر» متفق عليه . وهذا الحديث مورده خاص وهو فى حق الحكام . ومع ذلك لم أنكر اجتهاد أهل العلم فهو أمر معروف شائع عند أهل العلم بدون نكير . إلا أنى أقول ذلك بدون توقيت بزمن دون زمن . وبدون حصر على عدد معين . ولاشك أن اختلاف أهل العلم فى الفهم والاستنباط لا يقتضى تعدد الآلهة . ولا تعدد المشروع كما ذكرت . إنما الذى يقتضى ذلك وينطق بلسان حاله إما

بتعـدد الآلهـة أو تعـدد المشـروع تقليدكم الذى أنتم سائرون عليه اليوم حيث جعلتم علة الحـل والحـرمـة وصحـة الأعـمال وعـدم صحتهـا هو الانتساب إلى مذهب فلان وفلان . فبذلك جعلتم المسلمين على أربعة أقسـام . وجعلتم لكـل قسم منهم إمـامـا خاصـا يتبعونه كما تتبع الرسل صلوات الله عليـهـم . وقلتم من عمـل منهم خلاف ما فى كتب مذهب إمامه بطل عمله ولو وافق كتاب الله تعالى وسنة نبيه ﷺ . وأثر الصحابة رضـوان الله عليهم أو أحـد الأئمـة الثـلاثـة أو غيرهم من أهـل العلم والفتوى . فإن كانت المخالفة فى الأعمال قلتم بطل عمله . وإن كانت فى المطعوم قلتم طعم شيئا محرماً مع أنه طعم شيئا حلالا وعمل عملا جائزا فى غير مذهب إمامه . ومن عمل منهم وفق مذهب إمامه قلتم جاز عمله وطعم شيئـا حلالا وإن خالف الكتـاب والسنـة والأثـر وبقيـة الأئمـة الثلاثة . وصنيعكم هذا هو الذى لا يخلو من أحد الأمور الأربعة لا محالة ولابد أن تقولوا بواحد منها اضطرارا . أما أن تقولوا بتعدد الآلهة . تعالى الله عن الشريك . أو تقولوا إن الأئمة كانوا رسلا وشريعتهم مختلفة كما هو عادة الله فى رسله . كونهم يتفقـون فى التـوحيـد . ويختلفـون فى بعض الفـروع . أو تقـولـوا الحق متعـدد عنـد الله سبحانه وتعالى . أو تقولوا لم يسبق حكم من الله تعـالى إنـما الأحكـام تتجدد حسب اختلاف الأئمة المجتهدين . وإلا فيستحيل إصابة الحق جميعهم فى أمر واحد اختلف فيه الأربعـة أو الثـلاثـة أو الاثنان . وهذا كله إن لم تقولوه بألسنتكم وتعتقدوه بقلوبكم لكن لسان حالكم وأفعالكم ناطق به جهارا . ولا ريب أن الله واحـد . ورسـولـه الـذى أرسله إلى هذه الأمـة واحـد وهو خاتم الأنبياء صلوات الله عليهم ، وشريعته التى جاء بها واحدة ، والحق واحد كما ذكر عن الإمام مالك رحمه الله . قال أشهب سمعت مالكا يقول : ما الحق إلا

وطركم من المذهب الذى رجعتم إليه فى الجزئية رجعتم عنه إلى مذهبكم فى المسألة نفسها . وليس فى استطاعتك أن تنكر أن هذا ليس كفعل قريش فى النسيئة وأما قولك الدين يسر إلى آخره لاشك أنه يسر فى نفسه ثم إذا حدث عذر للمؤمن يصير أيسر وأيسر بحكم الله تعالى ورسوله ﷺ بدون تحيل بحيل الرجال التى لا تسمن ولا تغنى إلا أن ترميك فى المهالك . وذكر عن عبدالله بن المبارك - انه سئل عن رجل حلف بالطلاق ان لا يتزوج . ثم بدا له ان يتزوج هل له من رخصة أن يأخذ بقول الفقهاء الذين رخصوا فى هذا . فقال ابن المبارك : إن كان يرى هذا القول حقا من قبل أن يبتلى بهذه المسألة فله أن يأخذ بقولهم فأما من لم يرض بهذا فلما ابتلى أحب أن يأخذ بقولهم فلا أرى له ذلك . رواه الترمذى . هذه حكومة عدل . وهكذا ذكرته لك للفرقان الذى بين أصل عملهم وعملكم ورجوعهم ورجوعكم . ولكن رجوع العلماء الذى استدللت به هو نفسه حجة عليك لإبطال التقليد بإقرارك إنها تصدر عنهم أقوال وأفعال متناقضة ومن هذا صفته لا يجوز لمسلم أن يقلده دينه . لعدم ثبوته على قول وعمل واحد . اليوم يقول قولا ويعمل عملا وغداً يرجع عنه . وما يدريك أن إمامك رجع عن اجتهاده الذى أنت متمسك به لدليل وجده فإن قلت إمامى لا يقول أصلا إلا بالدليل . وغيره هو الذى يقول بدون دليل . قلت كيف علمت أن إمامك قال بالدليل وقد أقررت أنك لا تعلم الدليل ولا تفقهه ولذلك تقول قلدته . ما للأعمى ونقد الدراهم . فإن رجعت عن قولك السابق وأعترفت أنك تعلم الدليل وتفقهه فقد ابطلت استدلالك السابق وأصبحت من أهل الأدلة كإمامك وطولبت بالأدلة التى قال بها إمامك . وبدون شك لن تجد لكل مسألة فقهية فرضتموها دليلا . وقد كانت تخفى بعض السنن

عن الصحابة الكرام فضلا عنك وعن إمامك . وقد قال القائل :

إذا أعيا الفقيه وجود نص　　تعلق لا محالة بالقياس

وهذا أبو بكر الصديق وعمر الفاروق رضى الله عنهما قد خفيت عنهما بعض السنن مع سعة علمهما وملازمتهما لرسول الله ﷺ خفى على أبو بكر توريث الجدة . وخفى على عمر توريث المرأة من دية زوجها وحديث الجنين . وحديث الاستئذان كونه ثلاث مرات . فإن خفيت بعض السنن عنهما فحرى أن تخفى على غيرهما . فإذا اعترفت ان إمامك غير محيط بالسنة . قلت . هل ترى ان إمامك معصوم عن الخطأ فيما اجتهد فيه أم يجوز عليه الخطأ . فإن قلت بالعصمة فلا سبيل لك إليه وان قلت بعدم العصمة ، قلت ما يؤمنك ان إمامك أخطأ فى بعض ما أنت مقلده فيه . فإن قلت خطؤه مغفور له ولمن تبعه . كذلك قلت نعم . هو مغفور له لبذله ما فى وسعه من الجهد طالبا للصواب . وأنت مأزور لعدم طلب الحق ولتركك النصوص التى كان هو فاقدها بعد ما اطلعت عليها إيثاراً لقول إمامك فبهذا افترقتما . والله الموفق للصواب . وأما قولك إنكم على أثر الصحابة وأن اختلافكم كالاختلاف الذى كان بينهم رضى الله عنهم . فيا حبذا من دعوى لو صحت . وذلك ما كنا نبغى وضالتنا التى نناشدكم إيّاها وتنكرونها علينا ولكن أين الثرى من الثريا هيهات هيهات بين اختلافهم واختلافكم لأن اختلافكم هو عين مخالفتهم ومن أنى لك أن تستدل باختلافهم على اختلافكم ، إنما هو قول الحق أردت به الباطل لتوهم بمجرد لفظ الاختلاف على الجهلة . مع أنك تعلم أنى لم أنكر ولم أنف اختلاف أهل العلم فى النصوص وفى فهم النصوص . إنما انكرت عليك ترك العمل بالكتاب والسنة . واستبدالهما بالآراء . وإيجاب تقليد الأئمة الأربعة . وحصر الحق فى مذاهبكم الأربعة . ورد ما عدا ذلك سواء جاء ذلك فى الكتاب والسنة أو

الأثـر. وجعـل علة حمل الأشيـاء وتحـريمهـا على العباد وصحة أعمالهم وبطلانها مجرد الانتساب إلى مذهب فلان وفلان بدون دليل. هذا الذى انكـرتـه عليـك. وأمـا اختـلاف الصحـابة الذى زعمته أنه حجة لك لم يختلفوا لعصبية مذهب الآباء والأجداد والوطن مثلكم. ولم يجعلوا الحق قسمة بينهم. إنما كان اختلافهم رضى الله عنهم بالنصوص وفى فهمها. والاختـلاف بالنصـوص وفهمها ليس كمثل اختلافكم المذهبى. بل هو علم وفهم يؤتيه الله لمن يشاء من عباده. قال تعالى ﴿ففهمناها سليمان وكـلا آتينـا حكـما وعلما﴾ أثبت سبحـانـه وتعالى العلم للطرفين وأثبت لسليمان إصابة الحق. وهذه الآية من الأدلة التى تفيد أن الحق عند الله واحـد. ولعـل أن يكون الاختلاف فى عصر الصحابة أكثر ممن بعدهم. وهـو الظـاهـر لتفـرق الأحاديث فى صدور الرجال فى عصرهم. ولم تكن مدونـة مجمـوعـة إذ ذاك كاليـوم وذلـك الـذى صار سببـا لاختـلافهم فى النصوص. وكل واحد منهم كان يعمل ويفتى بما عنده من النصوص وما يستنبطه منه ولم يجدوا فراغا لملازمة النبى ﷺ لكثرة شواغلهم وغيرها من أمـر المعـاش وكانوا مَهَنَةَ أنفسهم. ولم يكن لهم خدم يغنونهم عن العمل كما قالت عائشـة رضى الله عنهـا فى حديث غسـل الجمعة. فلذلك كان يغيب بعضهم عن مجلس النبى ﷺ أحيـانـا ويحضـره أحيـانا. فيكتسب الحـاضـر علما لم يكتسبـه الغـائب وقـد يغيب الحـاضـر ويحضـر الغـائب فيكتسب علما لم يكتسبه الغائب. وقد يحضر بعضهم الحديث الناسخ ولم يحضـره من له علم بالمنسـوخ وقد يحضر بعضهم الحديث العام وبعضهم الخـاص، وقـد يحضـر بعضهم الحديث المطلق وبعضهم الحديث المقيد وهلم جرا. فيعمـل كل واحـد منهم ويفتى بما عنـده من النصـوص ومـا يستنبطـه منهـا حتى يبلغهم عن الشـارع ما يخالف ما لديهم. وكـان بعضهم يعـدى حكم المنصـوص عليـه إلى غير المنصـوص عليـه بالعلة

الجامعة بينهما وبعضهم كان يقف على حد النص ولم يقس كرضاع سالم قاست عليه عائشة غيره وبقيت أمهات المؤمنين لم يقسن عليه رضى الله عنهن وهكذا كان التابعون لهم بإحسان المنسوبة إليهم الدعاوى العظام التى هم برءاء منهـا . ثم بعـد اختـلافهم رضى الله عنهم فى الاجتهـاد والاستنباط وغيره إذا بلغهم حكم عن الشارع مخالف لما هم فيه تركوا ما لديهم وبـادروا إلى الحق واعتنقـوه وفـرحـوا به أشـد الفـرح . ولم يقـولوا كقـولكم هذا ليس دليلنـا بل دليـل الفلانيين . إذا لم يكن وفق مذهبكم ومن ذلك ما رواه الشافعى عن سفيان عن الزهرى عن ابن المسيب . أن عمـر كان يقـول (الدية للعاقلة ولا ترث المرأة من دية زوجها شيئا) حتى أخـبره الضحـاك بن سفيان أن رسول الله ﷺ - كتب إليه أن ورث امرأة أشيم الضبـابى من ديتـه فرجـع إليه عمر رضى الله عنه . وقال ابن عمر رضى الله عنهما (كنـا نخـابـر ولا نرى بذلـك بأساً حتى زعم رافع . أن رسول الله ﷺ نهى عنها فتركناها من أجل ذلك) وقال عمرو بن دينار عن سالم بن عبدالله رضى الله عنه - أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه نهى عن الطيب قبل زيارة البيت وبعد الجمرة . فقالت عائشة رضى الله عنها (طيبت رسـول الله ﷺ بيـدى لاحرامه قبل أن يحرم ولحله قبل أن يطوف بالبيت وسنـة رسـول الله ﷺ أحق) . قال الشافعى - ترك سالم قول جده لروايتهـا - قال ابن عبـدالـبر وابن تيميـة هذا شأن كل مسلم . لا كما تصنعه فرقة التقليد - ذكره الفلانى فى إيقاظه . وهذا قليل من كثير . مما لا تسـع ذكـر أفـراده فى هذه الرسالة . وما كانوا رضى الله عنهم يرون أن الشىء الـواحـد والعمـل الـواحـد يكون مباحا وجائز البعض المسلمين لانتسابهم إلى مذهب عالم من العلماء . وباطلا ، وحراما فى حق بعضهم لانتسابهم إلى عالم آخر بعلة الانتساب لا بالدليل . بل كان أحدهم إذا علم حكما من الكتاب والسنـة اعتقـد ذلـك لجميـع الأمـة وكذلك إذا

استخـرج حكـماً باجتهاده اعتقد ذلك لجميع الأمة فى الحل والحرمة وإن خالفه فى ذلك غيره من أهل العلم . ولا نكارة فى اختلاف أهل العلم فى النصـوص وفهمهـا وفى كيفية استخراج الأحكام منها . واستنباط الدليل للأحكام التى لم يرد بها النص أو ورد بها ولكن لم يطلع عليها بعضهم . وإنما النكارة والخيبة على من يتمادى فى الباطل بعد وضوح الحق من الله ومن رسـولـه ﷺ للتعصب المذهبى . ومثل اختلاف الصحابة رضى الله عنهم ومن نحـا نحـوهم هوعلم وفهم يؤ تيـه الله لمن يشـاء من عبـاده . ولاشـك بأن أهـل العلم يتفـاوتـون فى الفهم والاستنبـاط بعضهم ما لم يستطـع أن يستنبطـه البعض الآخـر . ولكن لا يلزم من ذلك أن كل من كان منهم أقوى فهما وأكثر علماً أنه لا يخطىء . وأنه يتبع بعد ظهور الحجة من الكتاب والسنة المخالفة له للعلها ولعلها . كما ذكر ابن القاسم . عن مالك أنه قال . ليس كل ما قال رجلٌ قولاً يتبع وإن كان له فضل . لقوله تعـالى ﴿**الـذين يستمعـون القـول فيتبعـون أحسنـه**﴾ وكان سعيد بن المسيب يقـول : ليس من عالم ولا شريف ولا ذى فضـل إلا وفيـه عيب ولكن من كان فضله أكثر من نقصه ذَهَبَ نقصه لفضله كما أن من غلب عليه نقصانه ذهب فضله . وقال غيره . لا يسلم العالم من الخطأ . فمن أخطأ قليـلا وأصـاب كثـيراً فهـو عالم ومن أصاب قليلا وأخطأ كثيراً فهو جاهل . ذكره ابن عبدالبر . ولم يكن الصحابة رضى الله عنهم أحزابا فى الدين ولم يتخذ منهم عدد معين أئمة تتبعهم العوام كالبوادى ونحوهم لا يقبل كل فريق منهم إلا ما نقل عن إمامهم بل كان العامى فى عصرهم يسأل أى عالم يجده فيفتيه العالم ولا يسأل العالم عن مذهب العامى . ولا يسأل العـامى عن مذهب العـالم لعلم الطـرفـين بأن دين الإسلام واحد وحكم الله فيه واحد والحق واحد لا يتغير بالانتساب إلى المذاهب لاتحاد الحق . وأمـا اختـلافكم أنتم اليـوم أعاذنا الله منه هوخلاف لاختلاف .

إنما هى أصول أصلتموها واخترعتموها من أنفسكم وجعلتموها دينا يعبد به الله سبحانه وتعالى على ما أنزل فى كتابه وكلفتم العوام العمل بها . وأوجبتم عليهم أن يتبع كل شخص منهم مذهب أبويه وأهل بلده وحرمتم عليهم مخالفة مذاهبهم التى نشأوا فيها مطلقا سواء فى ذلك ما خالف الكتاب والسنة والأثر. أم لا . وجعلتم عهدة الأدلة على الأئمة البرءاء، وحصرتم الحق بين الأربعة المذاهب وجعلتموه قسمة بينكم . وما جاء مخالفا للأربعة المذاهب فهو باطل لا يقبل من حيث أتى لا من الكتاب ولا من السنة ولا من الأثر. بناء على أن الحق محصور فى المذاهب الأربعة . وفى الحقيقة لو أنصفتم لوجدتم الحق محصورا فى الأولين ثم الثالث وما خالف ذلك فهو باطل من وساوس الشيطان . وجعلتم عذرا للتقليد هو عدم استطاعتكم فهو الكتاب والسنة من بعد الأئمة ولكنى أراكم إذا وجدتم من الكتاب والسنة ما يوافق مذاهبكم فهمتم معناه واستدللتم به على مقابلكم ومناظركم ودندنتم حوله فرحين واطنبتم فيه . وإذا خالف مذاهبكم تجاهلتموه . وجهلتم غيركم ورميتم به يميناً وشمالا بلعلها ولعلها . وإذا اعترض عليكم السنى على بعض أعمالكم التى تخالف الكتاب والسنة والأثر مقتموه وقلتم له إن إمامنا أعلم منك وخير منك بالكتاب والسنة والأثر فما تكون أنت بجانبه العظيم . فإن لم يكن لإمامنا دليل ما قال به، أو قلتم هذا الحديث مؤول عندنا ومحمول على كيت وكيت وحملتموه على غير محمله . وتصرفتم فيه كيف شئتم نصرة لمذاهبكم ونضالاً عنها ثم رميتم المعترض عليكم بكل قبيح ونسبتم إليه ما هو برىء منه من قول أو فعل لكى تشينوا سمعته وتنفروا عنه الناس ورأيتموه كأنه مرتكبٌ كبيرةً من الذنوب بل أكبر من ذلك . ولم يذنب إلا أنه حكم الله ورسوله ﷺ وأمر ونهى كما أمر وإذا رأيتم يوماً أحداً يعمل عملاً يخالف بعض مذاهبكم اعترضتم عليه

وقلتم له . لماذا صنعت كيت وكيت . فإن قال لكم فى مذهبنــا الفــلانى جائز رضيتم عنه وقلتم له ما شاء الله مذهبك مذهب فلان . وسررتم منه وصرتم إخواناً بذلك . وأما إذا قال لكم فعلته لما قال الله تعالى فى كتابه العـزيـز أو لما جاء عن رسـول الله ﷺ فى الحديث الذى أخرجه البخارى ومسـلم . أو أحـد مخرجـى الأحـاديث . اشمأزت قلوبكم من قولــه وسخطتم عليـه . وقلتم هذا خامسى خارج عن أهـل السنـة والجماعة . والله يعلم انكم لكاذبون . وإنه أولى منكم بالسنة وهو مع الجماعة ولكن لا تفقهون . ويحكم تغضبون على من يستدل بكتاب ربكم وسنة نبيكم ﷺ وترضون على من يستدل بأقوال الرجال . قال تعالى ﴿ما قدروا الله حق قدره﴾ ولـو قصـدتم الحق والانصـاف بدل أن تعـيروه لحاججتموه بالكتـاب والسنـة كما أمر الله تعالى بذلك . قال تعالى ﴿فإن تنازعتم فى شىء فردوه إلى الله والرسـول﴾ ﷺ . فقـد أمـرنـا سبحـانه وتعالى أن نعـرض ما أختلفنـا فيـه من أمـر ديننا على الكتاب والسنة لكى يظهر لنا الحق من الباطل كما تعرض الصاغة التبر على النار ونحوه فيما إذا ارتابوا فيـه أو اختلفـوا فيـه . فبـالعـرض على النـار يظهـر لهم المزيف من غيره وينقطع به النزاع والريب . فكذلك بالعرض على الكتاب والسنة يظهر الحق من البـاطـل . كما قال العـز بن عبدالسلام فيما سبق ولكن لم تقبلوا العرض عليهما لأمرين :

أولهما — ما بأيديكم حجج مزيفة غير نافقة .

ثانيهما — وقر الشيطان فى قلوبكم أن جميع ما فى كتب مذاهبكم حق موافق للكتـاب والسنـة . ثم أكـد عليكم ذلك بقوله . ولكن أنتم ما تدركـون معنى الكتـاب والسنـة . وما يتبادر فى أذهانكم فهو خيال . وأما معناهما الحقيقى فلا يعلمه إلا الله . والراسخون فى العلم مثل

الأئمة الأربعة. فعليه مهما يأتيكم المناظر بالأدلة لم تقبلوا منه إنما تقولون له: إن ما نحن عليه حق وفق الكتاب والسنة ولكن نحن وأنتم ما نفقه الكتاب والسنة. وقد أخبر سبحانه وتعالى فى كتابه العزيز عمن كان قبلكم أنهم لو عاينوا الحق لقالوا مثل قولكم هذا. قال تعالى مخبرا عنهم **﴿ولو فتحنا عليهم بابا من السماء فظلوا فيه يعرجون لقالوا إنما سكرت أبصارنا بل نحن قوم مسحورون﴾** والجامع بينكم وبين من أخبر الله عنهم هو تكذيب النفس فيما تراه وتعاينه. وتكليفها وتصديقها بما لا تعاينه ولا تعلمه. وعذرتم أنفسكم بالعجز عن فهم النصوص الواضحة كالشمس.كما عذروا أنفسهم بالسحر وسكر الأبصار بعد المعاينة. ثم عمدتم لمناظريكم إلى الجدل الذى أوتيتموه بدلا عن الهدى الذى كان فيه سلفكم. كما أخبر النبى ﷺ فى الحديث الذى أخرجه أحمد والترمذى وابن ماجه. عن أبى أمامة رضى الله عنه. قال قال رسول الله ﷺ : «ما ضل قوم بعد هدى كانوا عليه إلا أوتوا الجدل» ثم قرأ رسول الله هذه الآية **﴿ما ضربوه لك الا جد لا بل هم قوم خصمون﴾** ومن عجائبكم أيضا اشتغالكم بالتفاسير والأحاديث. وللحكم ترجعون إلى كتب فقهاء مذاهبكم. فكان اشتغالكم بهما اشتغالا بما لا يعنى. وما أرى مَثَلكم إلا كمثل ساكنى حرم مكة يطلبون صيد الحرم ويركبون لطلبه السهل والوعر ولا يصطادونه لأنهم يرونه محرماً عليهم اصطياده. إلا أنهم يحبون أن يروا حالاته ومواقعه فقط. فإذا احتاجوا إلى طعام عادوا إلى طعامهم المعتاد الذى لابد منه كالذين لم يطلبوا الصيد. كما تعودون للعمل إلى مذاهبكم فلم يسعدوا بطلبهم الصيد إلا بالعناء كما لم تسعدوا بطلب علم الحديث والتفسير إلا بالسهر والعناء وإقامة البينة على أنفسكم.

قال المقلد: المذاهب الأربعة قد مضى عليها ثلاثة عشر قرنا ونيف بدون نكير. فأنت جئت اليوم وصرت تنكر عليهم. وقد مضت علماء فحول خزائن العلم ولم ينكروا عليهم فما يكون إنكارك على الأربعة المذاهب إلا كمثل البعوضة تحاول ازالة الجبل عن محله كما قيل:

يا ناطح الجبل العالى ليكلمه أشفق على الرأس لاتشفق على الجبل

قال السلفى: نعم إنى لا أستطيع إزالة التقليد بعد ما أشربت القلوب حبه وورثتموه كابراً عن كابر ولكن أستطيع إن شاء الله تعالى. كلما أتيتم برأى أن أبطله بالأدلة القاطعة. كما قال القائل رحمه الله:

إذا ذو الرأى خاصم عن قياس وجاء ببدعة منه سخيفة
أتيناهم بقول الله فيها وآثار مبرزة شريفة

وأما قولك إن العلماء لم ينكروا فيما مضى فهو خطأ بين. العلماء لم تترك الإنكار فى أى قرن قد نهوا بل وصنفوا فى ذلك. إلا أنه لم يؤثر لتمكن التقليد من قلوب الناس. وعلى فرض أن من مضى من العلماء لم ينكر التقليد. فعدم الإنكار مع المعاينة من غير الرسول ﷺ لا يكون ذلك دليلا لتشريع ذلك الحكم.

قال السلفى: هل ترى أن أهل المذاهب الأربعة كلهم على الحق والهدى أم مذهبك على الحق وغيره على الباطل؟

قال المقلد: كلهم على الحق والهدى. واختلافهم رحمة لحديث «اختلاف أمتى رحمة».

قال السلفى: فما دمتم ترون كلهم على الحق والهدى. لماذا تحكمون ببطلان عمل مقلد مذهب فلان. إذا عمل عملا لا يصح فى مذهبه. ويصح فى أحد المذاهب الثلاثة أو فى الثلاثة كلها. فما بعد الحق إلا الضلال. أو لم يكن إلهكم الذى يقبل عمل عامل منكم ويجزى به

ويـرده واحـد. أم لكـل صاحب مذهب منكم إلـه آخـر شرع له شريعة على حدة ولا يقبـل منـه إلا ما شرع له. أم إلـه واحد ولكن الحق متعدد عنـده. أم شرع لكـل صاحب مذهب شريعـة على حدة لا يتجـاوزهـا كالأنبياء. أبناء علات.

قال المقلد: الله واحـد وشـريعته فى الإسلام واحدة. ولا يلزم من اختلاف أهل المذهب ما ذكرت. إنما هو من سوء فهمك وقلة إطلاعك على أقوال أهل العلم.

قال السلفى: وإن لم تقولوا ما ذكرتم بألسنتكم لكن سَيْرُكم الذى أنتم عليـه اليـوم ودينكم الـذى تدينـون به ربكم سبحـانه وتعالى ينطق ويشهـد بما ذكـر وان كرهتمـوه وأنكرته ألسنتكم وهو لا يستجيزه الصبيان فضـلا عن العقـلاء وفضـلا عن العلماء. كون الله سبحانه وتعالى يقبل عمـل زيـد من المسلمـين لانتسـابـه لمذهب فلان ويـرد عمل عمرو من المسلمـين لانتسـابـه لمذهب فلان الآخـر. وقد عملا عملاً واحداً بصفة واحـدة. فإن قلت: اعـتراضـك هذا يخطىء القـرون الثـلاثة الفاضلة باتفـاق المسلمـين. أقـول: لا يشملهم ولا يشمـل من سار بسيرهم بل يخص من خالف سيرهم وجعـل يحلل ويحـرم ويجـوز ويبطل أعمال العباد بمجرد الانتساب إلى مذهب فلان وفلان بدون أى حجة من الشارع. فإن كان مذهبـــه مذهب فلان جاز عمله مما لم يجزلـــو فعله مقلد مذهب فلان الآخـــر. وحـل له ما هو محرم على مقلد مذهب فلان الآخـر. كما سوف تسمـــع من مفتيكم هذا يفتى على الأربعـــة المـذاهب. الحنفى والمـالكى والشافعى والحنبلى وهذا أول سائل له قال: ياسيدى الشيخ. مسحت على ربع رأسى. قال الشيخ: ما مذهبك؟ قال: الحنفى. قال الشيـخ: وضـوؤ ك جائـز. سيدى الشيخ مسحت على ربع رأسى. قال

الشيـــخ : ما مذهبـك؟ قال : مالكى . قال الشيـخ : وضـوؤ ك باطـل . سيدى الشيخ مسحت على ربع رأسى . قال الشيخ : ما مذهبك؟ قال : شافعى . قال الشيـخ : وضـوؤ ك صحيـح . سيدى الشيخ مسحت على ربـــع رأسى . قال الشيـخ : ما مذهبـــك؟ قال : حنبلى . قال الشيـــخ وضوؤ ك غير جائز. سيدى الشيخ تنحنحت فى الصلاة . قال الشيخ : ما مذهبـــك؟ قال : حنـفى . قال الشيـــخ : صلاتـــك باطلة . ما لم تكن معذورا . سيدى الشيخ تنحنحت فى الصلاة . قال الشيخ : ما مذهبك؟ قال : شافعى . قال الشيـــخ : صلاتـــك صحيحـــة . سيـــدى الشيـــخ تنحنحت فى الصـــلاة . قال الشيـــخ : ما مذهبـك؟ قال : مالكى . قال الشيـخ : صلاتـك جائـزة . سيـدى الشيـخ تنحنحت فى الصـلاة . قال الشيخ : ما مذهبك؟ قال : حنبلى . قال الشيخ : صلاتك باطلة . إلا أن يكون بالعذر. سيدى الشيخ أظن إذا صمت أنى أمرض . قال الشيخ : ما مذهبـــك؟ قال : حنفى . قال الشيـــخ : يجوز لك الإفطـار. سيـدى الشيخ إذا صمت أظن أمرض . قال الشيخ : ما مذهبك؟ قال : مالكى . قال الشيـخ : إذا ظننت مرضـا شديـدا وجب عليـك الإفطـار. سيـدى الشيخ أظن يصيبنى مرض إذا صمت . قال الشيخ : ما مذهبك؟ قال : شافعى . قال الشيـخ : لا يجوز ذلـك الإفطـار . سيـدى الشيـخ أظن إذا صمـت أنى أمـــرض . قال الشيـــخ : ما مذهبـــك؟ قال : حنبلى . قال الشيخ : يسن لك الإفطار ويكره لك الصيام . سيدى الشيخ خرجت من عرفة قبل غروب الشمس . قال الشيخ : ما مذهبك؟ قال : حنفى . قال الشيخ : حجك جائز ووجب عليك الدم . لترك الواجب . سيدى الشيخ خرجت من عرفة قبل غروب الشمس . قال الشيخ : ما مذهبك؟ قال : مالكى . قال الشيـخ : حجـك باطـل . سيـدى الشيخ خرجت من عرفة

قبـل غروب الشمس . قال الشيـخ : ما مذهبـك؟ قال : شافعى . قال الشيـخ : حجـك صحيـح ويندب لك الدم لترك السنة . سيدى الشيخ خرجت من عرفة قبل غروب الشمس . قال الشيخ : ما مذهبك؟ قال : حنبلى . قال الشيـخ : حجـك جائز ووجب عليك الدم لترك الواجب . سيـدى الشيـخ أيحـل لى أكـل القنفذ . قال الشيخ : ما مذهبك؟ قال : حنفى . قال الشيخ : حرام عليك . سيدى الشيخ أيحل لى أكل القنفذ . قال الشيـخ : ما مذهبـك؟ قال : مالكى . قال الشيـخ : حلال لك . سيـدى الشيخ أيحـل لى أكـل القنفذ . قال الشيخ : ما مذهبك؟ قال : حنبلى . قال الشيخ : حرام عليك . سيدى الشيخ أيحل لى أكل القنفذ . قال الشيخ : ما مذهبك؟ قال : شافعى . قال الشيخ حلال لك . سيدى الشيخ أتحل لى زوجتى المطلقة بالثلاثة إذا تزوجَتْ بشرط التحليل . قال الشيـخ : مذهبـك؟ قال : حنفى . قال : الشـرط باطـل وحلت لك إن دخـل بها مع لعنـة تصيبـك وتصيبهـا . سيـدى الشيخ أتحل لى زوجتى المطلقـة بالثـلاثـة إذا تزوجَتْ بشـرط التحليـل . قال الشيخ : مذهبك؟ قال : مالكى . قال الشيخ : لا تحل لك ما لم تنكح نكاح الرغبة ويدخل بها . سيـدى الشيـخ أتحـل لى زوجتى المطلقة بالثلاثة إذا تزوجت بشرط التحليـل . قال الشيخ : مذهبـك؟ قال : شافعى . قال الشيـخ : هذه المسألة فى مذهب الشافعى فيها قولان . أحدهما : إن قال لها إذا حللتك للأول فلا نكاح بيننا لم تحل لك . والقول الثانى : إن قال لها إذا وطئتك فأنت طالق فعلى القـولـين أيضا فى القديم تحل لك وفى الجديد فلا تحل لك . سيـدى الشيـخ أتحل لى زوجتى المطلقة بالثلاثة إذا تزوجت بشرط التحليـل . قال الشيـخ : مذهبـك؟ قال : حنبلى . قال الشيـخ : لا تحل لك حتى تنكـح زوجـاً آخر بنكاح صحيح بدون شرط التحليل . سيدى الشيخ هل يجوز لى نكاح الشغار؟ قال الشيخ : مذهبك؟ قال : حنفى .

قال الشيـــخ : اسأل عن هذه المسألـة علماء مذهبـك لعله يجوز عنـدهم بصفـة أن يفـرض لكـل امـرأة مهر مثلها . وأما أنا فلست على يقين من حكمها فى مذهبكم . وأما عندنا فغير جائز لأنه نكاح منهى عنه . سيدى الشيـخ أيجـوز لى الاقتـداء بالمتنفل وأنا أصلى مكتوبة؟ قال : مذهبك؟ قال : أفتنى بأى مذهب كان لأن قصـدى الفـائـدة . قال الشيـخ : كيف أفتيك وأنت لم تبين لى مذهبك لكى أفتيك حسب ما فى مذهبك . قال : مذهبى الكتـاب والسنـة . قال الشيـخ : آنت غير مقلد لأحـد الأئمـة؟ قال : نعم . قال : اذهب عنى أنت خامسى المـذهب التمس خامسيـا مثلك واستفتـه . قال : ياسيـدى الشيخ افتنى كما كنت تفتى للناس وكل سؤ ال دينى . قال الشيـخ : النـــاس لهم مذاهب ليســوا مثلك . قال : ياسيـدى الشيـخ ابتـغ لى أن ابتغى مذهبـا أفضـل وأهدى من الكتاب والسنة . قال الشيخ : للطلبة أخرجوه عنى هذا مضل لا يضلكم بكلامه هذا . قال : سيـدى الشيـخ ان كان المتمسـك بالكتـاب والسنـة مضـلا عنـدكم فما ترون حكم المتمسـك بغـيرهما . أفـوض أمرى إلى الله فالله المستعـان . وحسبى سيـدى الشيـخ أنى سوف أتوب إذا أخبرتنى بشىء واحـد . قال الشيـــخ : ما هو؟ قال : اخـبرنى عما سيحـاسبنى به ربنـا سبحـانـه وتعالى حين ألقاه هل سيحاسبنى عما جاء به نبينا محمد ﷺ . أم سيحـاسب كل شخص منـا حسب مذهب إمـامه . فمن لقى الله منا وعمله وفق مذهب إمـامـه سلم . ومن لقيـه وعملهُ مخالف لمذهب إمـامه عطب . أرشـدنى هداك الله لكى الـزم ما عما أنـا عنه مسئول ومحاسب . قال الشيخ : اسكت أنت فى ضلالك القديم ، وهذا سؤ ال تعنت . فهل ترى هكـذا كان اختـلاف الصحابة واستفتاؤ هم وفتواهم . وهل ترى لو يرى هذه الحالة رجل عاقل خالى الذهن أيظن أن هؤ لاء أهل دين واحد ومعبـودهم واحـد . كلا . ما يفهم منهم ذلـك كيف يفهم منهم ذلك وهو

يرى كل سائل يأخذ حكمه على حدة حسب ما انتسب إليه من المذاهب. ولا يفتى له حتى يبين مذهبه. وأما احتجاجك بحديث اختلافهم رحمة فغير صالح الاحتجاج به لأنه ضعيف، وغير معقول شرعا وعقلا أن يكون الاختلاف أرحم وأولى للأمة من الاتفاق. بل الاتفاق أرحم وأولى. لحديث معاذ بن جبل وأبى موسى الأشعرى حين بعثا إلى اليمن قال لهما النبى ﷺ «اتفقا ولا تختلفا» فإذا كان هذا الأمر والنهى للشخصين ففى اختلاف الأمة أولى. قال تعالى ﴿ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا﴾ وعن ابن عباس قال قال النبى ﷺ فى مرض موته «هلموا أكتب لكم كتابا لن تضلوا بعده» قال عمر بن الخطاب حسبكم كتاب الله. وقال غيره قربوا يكتب لكم. فلما أكثروا اللغط والاختلاف قال رسول الله ﷺ «قوموا عنى لا ينبغى عندى التنازع» متفق عليه. والحديث أطول مما ذكر. وقال النبى ﷺ. فى حديث آخر مخبرا بما سيكون بعده من الاختلاف ومحذرا عنه «فإنه من يعش منكم بعدى فسيرى اختلافا كثيرا فعليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين» ولو كان فى الاختلاف خير لما حذر عنه. والحاصل قد علم شرعا وعقلا حسن الاتفاق وقبح الاختلاف. ولا حاجة لسرد الأدلة الواردة فى ذلك. وعلى فرض صحة الحديث يحمل على اختلافات أهل العلم فى الفهم واستنباط الأحكام للأشياء الحادثة التى لم يوجد لها نص فالناس على سعة فى ذلك، لهم أن يأخذوا بقول أى عالم ولا عتب عليهم. فعليه يكون معنى اختلافهم رحمة أى أن هذه الأمة غير مؤاخذة فيما اجتهدت فيه من أمر دينها لغير المنصوص عليه من كان منهم أهلا للاجتهاد إن أصابوا أو أخطاوا فللمصيب منهم أجران وللمخطىء أجر. والعامل بقولهم فى ذلك غير ملام ولا شك أن هذا رحمة من الله. وأما اختلافاتكم أنتم اليوم لفى معزل عما ذكر لأنها شركات عملتموها مقابل النصوص

وجعلتمـــوهـــا معيـارا للنصـوص . كل فريق منكم يرد نصـا غير موافق لمذهبه . غيرة لمذهبه ونضالا عنه . مع أنه كان الواجب عكس ذلك . بأن تردوا كل قول خالف النصـوص الشـرعيـة . فإذا قلتم لا بـد لنا من لزوم الأقـــوال المنسـوبـة إلى أئمتنـا لكـان لكم لذلـك سبيـل بدون أن تردوا النصـوص وذلـك بأن يقلد كل منكم إمامه فى الحكم الذى استنبطه من النصوص لغير المنصوص عليه فإذا فعلتم ذلك فقد جمعتم بين النصوص والتقليـد وإن كان هذا أيضـا خلاف سبيـل السلف ولكنه أهون بالنسبة إلى رد النصوص تجاهلا .

قال المقلد : تجرأت وخضت فيما لا طاقة لك به وشنعت على أهل المـذاهب وخطأت الاجمـاع وقـد جاء فى الحديث إذا أصاب المجتهد فله أجـران وإذا أخطأ فله أجـر . وهذا دليل واضح بأن عمل كل مجتهد ومن تبعه صحيح ومرضى وإن أخطأ فالمخطىء منهم مأجور أيضا بنص هذا الحـديث فبهـذا الحديث ظهر بأن اختلاف المجتهدين فى المسائل الدينية لا يقتضى تعـدد الآلهـة ولا اختلاف المشروع وبه بطلت جميع حججك السابقة واللاحقة .

قال السلفى : الحـديث الـذى ذكـرتـه غير معروف باللفظ الذى ذكـرتـه إنما نعرف «إذا حكم الحاكم فاجتهد ثم أصاب فله أجران . وإذا حكم فاجتهـد ثم أخطأ فله أجـر» متفق عليـه . وهـذا الحـديث مورده خاص وهو فى حق الحكام . ومع ذلك لم أنكر اجتهاد أهل العلم فهو أمر معـروف شائـع عنـد أهـل العلم بدون نكير . إلا أنى أقول ذلك بدون توقيت بزمن دون زمن . وبـــدون حصـر على عدد معـين . ولاشـك أن اختـلاف أهـل العلم فى الفهم والاستنبـاط لا يقتضى تعدد الآلهة . ولا تعدد المشروع كما ذكرت . إنما الذى يقتضى ذلك وينطق بلسان حاله إما

بتعـدد الآلهـة أو تعـدد المشـروع تقليدكم الذى أنتم سائرون عليه اليوم حيث جعلتم علة الحـل والحـرمـة وصحـة الأعـمال وعـدم صحتهـا هو الانتساب إلى مذهب فلان وفلان . فبذلك جعلتم المسلمين على أربعة أقسـام . وجعلتم لكـل قسم منهم إمـامـا خاصـا يتبعونه كما تتبع الرسل صلوات الله عليـهـم . وقلتم من عمـل منهم خلاف ما فى كتب مذهب إمامه بطل عمله ولو وافق كتاب الله تعالى وسنة نبيه ﷺ . وأثر الصحابة رضـوان الله عليهم أو أحـد الأئمـة الثـلاثـة أو غيرهم من أهـل العلم والفتوى . فإن كانت المخالفة فى الأعمال قلتم بطل عمله . وإن كانت فى المطعوم قلتم طعم شيئا محرماً مع أنه طعم شيئا حلالا وعمل عملا جائزا فى غير مذهب إمامه . ومن عمل منهم وفق مذهب إمامه قلتم جاز عمله وطعم شيئـا حلالا وإن خالف الكتـاب والسنـة والأثـر وبقيـة الأئمـة الثلاثة . وصنيعكم هذا هو الذى لا يخلو من أحد الأمور الأربعة لا محالة ولابد أن تقولوا بواحد منها اضطرارا . أما أن تقولوا بتعدد الآلهة . تعالى الله عن الشريك . أو تقولوا إن الأئمة كانوا رسلا وشريعتهم مختلفة كما هو عادة الله فى رسله . كونهم يتفقـون فى التـوحيـد . ويختلفـون فى بعض الفـروع . أو تقـولـوا الحق متعـدد عنـد الله سبحانه وتعالى . أو تقولوا لم يسبق حكم من الله تعـالى إنـما الأحكـام تتجدد حسب اختلاف الأئمة المجتهدين . وإلا فيستحيل إصابة الحق جميعهم فى أمر واحد اختلف فيه الأربعـة أو الثـلاثـة أو الاثنان . وهذا كله إن لم تقولوه بألسنتكم وتعتقدوه بقلوبكم لكن لسان حالكم وأفعالكم ناطق به جهارا . ولا ريب أن الله واحـد . ورسـولـه الـذى أرسله إلى هذه الأمـة واحـد وهو خاتم الأنبياء صلوات الله عليهم ، وشريعته التى جاء بها واحدة ، والحق واحد كما ذكر عن الإمام مالك رحمه الله . قال أشهب سمعت مالكا يقول : ما الحق إلا

واحـد. قولان مختلفـان لا يكـونـان صوابًا جميعا. ما الحق والصواب إلا واحـد ـ قال أشهب وبـه يقـول الليث ـ قال أبـو عمـر الاختـلاف ليس بحجـة عنـد أحـد العلماء من فقهـاء الأمة. إلا من لا بصر له ولا معرفة عنـده ولا حجـة فى قوله. وما اختلاف الأئمة الأربعة فيما اختلفوا فيه إلا كمثـل أربعـة أشخـاص. إختلفـوا فى ناحيـة القبلة وهـم فى جهة واحدة منهـا. مثـلا فى الجـانب الغربى من الكعبة. فصلى كل واحد منهم إلى ناحية من الجهات الأربعة بعد بذل الجهد فى التحرى فاقتدى بكل واحد منهم أنـاس وأنت تعـرف المصيب للقبلة منهم واحد لاستحالة أن تكون فى الجهـات الأربعـة من بقعـة واحـدة فإذا استحـال أن تكون القبلة فى الجهـات الأربعـة من بقعـة واحـدة فكذلك يستحيل أن يكون الحق مع الأئمـة الأربعـة فى أمر واحد اختلفوا فى حله وحرمته وجوازه وعدم جوازه وإن كانـوا هم مأجـورين فى ذلـك المصيب منهم للإصـابـة والاجتهاد. والمخطىء منهم للاجتهـاد فقـط. لا للخطأ بل لقصده الصواب. ومثل من يخالف من المقلدين لهم النصـوص الشـرعيـة بعـد ظهـورهـا جموداً وتعصباً للمذهب كمثل العالم بالقبلة يقتدى بمن أخطأها. والحاصل إذا حكـمت بتعـدد الحق يلزمـك أن تحكم بتعـدد القبلة. وإذا حكـمت ببطـلان صلاة المقتـدى العـالم بالقبلة بمن أخطأهـا يلزمـك أن تحكم ببطلان عمل المقلد العالم بالنصوص الشرعية ويخالفها جمودا على مذهب إمـامـه. لعـدم الفـارق. ولو كان كل ما يقوله المجتهدون باجتهادهم فى الدين حقاً وفق حكم الله ورسوله. لما نهى النبى ﷺ أميره (بريدة) أن لا ينـزل عدوه إذا حاصـره على حكم الله. وقـال له: «فـإنك لا تدرى إن تصـيـب حكـم الله فيهم. أم لا. ولكن أنـزلهم على حكمـك وحكم أصحابك» فتأمل كيف فرق بين حكم الله وحكم الأمير ونهى أن ينسب حكـم المجتهـد إلى الله حذراً من خطأ المجتهـد. وقـال النبى ﷺ فى

الحديث المتفق عليه «إذا حكم الحاكم فاجتهد ثم أصاب فله أجران. وإذا حكم فاجتهد وأخطأ فله أجر» وهذا الحديث صريح فى أن المجتهد يصيب ويخطىء. ومن هذا. ما روى عن عمر بن الخطاب لما كتب الكاتب بين يدى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب. رضى الله عنه. حكما حكم به (فقال هذا ما أرى الله أمير المؤمنين عمر بن الخطاب. فقال لا تقل هكذا ولكن قل هذا ما رأى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب) وهذا عمر بن الخطاب الذى جعل الله الحق فى لسانه وقلبه لم يرض أن ينسب اجتهاده إلى الله خشية الخطأ. فما بالك برأى غيره. وروى عنه أيضا بسند رجال ثقات أنه قال: (ياأيها الناس اتهموا الرأى على الدين فلقد رأيتنى ارد أمر رسول الله ﷺ برأى اجتهادا فوالله ما كنت على الحق وذلك يوم أبى جندل والكتاب بين يدى رسول الله ﷺ) يعنى مراجعته لرسول الله ﷺ فى صلح الحديبية. والله ورسوله كان أعلم بها فى ذلك من المصلحة. والحاصل لو كان الصواب فى وجهين متدافعين ما خطأ علماء السلف بعضهم بعضا فى المسائل الاجتهادية. والعقل السليم يأبى أن يكون الشىء وضده صوابا وحقا كله. وقد أحسن من قال. إثبات ضدين معا فى حال. أقبح ما يأتى من المحال.

فما شرعه الله سبحانه وتعالى لهذه الأمة على لسان نبيه محمد ﷺ فهو مشروع لجميع الأمة إلى يوم القيامة. وأى عمل صح وجاز وصار مرضيا عند الله من شخص من المسلمين لموافقته ما جاء به النبى ﷺ. فذلك جائز ومرضى من جميع من عمل من الأمة مثل عمله. وأى عمل عمله شخص من المسلمين وكان مكروها عند الله ومردودا عليه لمخالفته ما جاء به النبى ﷺ. فكذلك يكون مكروها ومردودا على جميع من عمل من الأمة مثل عمله. وأى شىء أحله الله لشخص من المسلمين

فيما جاء به النبى ﷺ . فهو حلال لجميع الأمة وأى شىء حرمه الله على شخص من المسلمين فيما جاء به النبى ﷺ . فهو حرام على جميع الأمة وأى عمل أجر فيه شخص من المسلمين لموافقته ما أتى به النبى ﷺ . فذلك مأجور فيه جميع من عمل من الأمة مثل عمله وأىّ عمل وزر فيه شخص من المسلمين لمخالفته ما أتى به النبى ﷺ . فكذلك مأزور فيه جميع من عمل من الأمة مثل عمله. وأى عمل أبيح لشخص من المسلمين فيما جاء به النبى ﷺ لعذر. فكذلك يباح لجميع من أصيب من الأمة بمثل عذره. وغير ممكن شرعا وعقلا أن الله سبحانه وتعالى يؤجر زيدا من المسلمين لانتسابه لمذهب فلان ويؤزر عمراً لانتسابه لمذهب فلان الآخر فى عمل واحد. كل منهما عمله مخلصا وفق ما أتى به النبى ﷺ . تعالى الله أن يعذب عمرا بالجحيم بفعل ينعم فيه زيدا بالنعيم فى نحو من فتاوى شيخكم السابق مثلا الحنفى والشافعى إذا رضع كل منهما من أم الآخر مصة واحدة ثم نكح أحدهما الآخر فالشافعية تكون غير مسئولة بهذا النكاح لأنه جائز فى مذهب إمامها حيث لا يكون أخاها بمصة واحدة. والحنفى الذى هو زوجها يعذب بذلك إلا أن يعفى عنه لأنه يكون أخاها بمصة واحدة فى مذهب إمامه.
وكذلك تارك الصلاة كسلاً إن كان حنفى المذهب صار من جملة فسقة المسلمين فى مشيئة الله. وإن كان حنبلى المذهب صار كافراً مؤبدا فى النار. تعالى الله من أن تتناقض أحكامه ووعده ووعيده قال تعالى ﴿**ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا**﴾ وأما الاختلافات التى تكون بين أهل العلم فى الفهم والاستنباط فغير داخلة فيما ذكر. مهما اختلفوا كلهم فهم على خير. والمخطىء منهم غير ملام للعذر لا لكون كل مجتهد مصيبا كما تزعمون أنتم وكذلك غير داخل العوام الآخذون بأقوال أهل العلم بدون تحيز إلى فئة خاصة كتحيزكم. ويجب عليهم

الأخــذ بالكتــاب والسنــة إذا بلغهم حديث عن العلماء مخالف لأقـوال العلماء الـذين أخـذوا عنهم لأنهم صاروا عالمـين بالجزئية وهذا إذا علموا صحــة الحـديث من أهـل العلم وفهمـوا منهم معنـاه . ولا يجوز لهم أن يعملوا بكل ما وجدوه معنونا بقال أو فعل رسول الله ﷺ . وكذلك يجب عليهم أن يعملوا بالكتـاب إذا علمـوا معنى الآيـة وأنهـا محكمة من أهل العلم . وخاصة اختلاف أهل العلم الأئمة الأربعة وخلافهم من العلماء المجتهــدين . كلهم مأجــورون فى الإصــابــة والخطأ لبـذل جهـدهم للصـواب . والآخـذين بأقـوالهم جاهلين بالنص غير ملامين أيضا وهم على هدى ما لم يطلعـوا على النص الشـرعى المخالف لما هم عليه فمن وجد منهم النص وفقه ثم اصر على ما كان عليه تعصبا فهو ضال مخطىء السبيل وأعماله باطلة بدون شك . وإن صححها فى الدنيا جدلاً وفى هذا المعنى يقول القائل :

وأخــذى باختــلافهـم مبــاح	لتـوسـيـع الإلــه على الأنــام
ولـسـت مخالفـا إن صح لى عن	رسـول الله قــول بالــكـلام
إذا خالــفـت قول رســول ربـى	خشيت عقــاب رب ذى انتقــام
ومــا قال الــرســول فلا خلاف	لــه يـارب أبــلغـه سـلامـى

قال المقلد : تريـد أن يكـون الناس كلهم علماء مجتهدين . لم يكن ذلك فيها سلف ولا يكون فيها بعد .

قال السلفى : لا أريد ذلك وغير ممكن كما ذكرت . ولكن أريد أن يعمل عالمكم بالكتاب والسنة كما أمر الله تعالى ثم بأثر الصحابة رضوان الله عليهم فان لم يجد عمل باجتهاده . أو أخذ باجتهاد من يظن أنه خير منه . ثم إذا وجد الحكم من الكتاب أو السنة ترك اجتهاده واجتهاد غيره

وأخذ بالحق الذى أمر الله بالعمل به وعاميكم لو يسأل أى عالم عن حكم الله تعالى ورسوله ﷺ . فأفتاه عن بينة يأخذ بقوله . ولست أعنى أنه يسأله عن الأدلة بل أعنى أن يكون قصده ذلك لا المذهب ولكنتم حقيقة على أثر الصحابة رضى الله عنهم وعلى الهدى الذى تدعونه بدون بينة وأما مادام عالمكم لا يقبل صرفاً ولا عدلاً إلا ما يجده فى كتب مذهبه . وجاهلكم لا يقبل صرفاً ولا عدلاً إلا من عالم مذهبه . فأنتم فى معزل عن الهدى وأثر الصحابة رضوان الله عليهم والله يهدى من يشاء من عباده وهو على كل شىء قدير . ثم فلتعلم أن جدلى معك من أول الجلسة إلى هنا هو فى حق من ينتسب منكم إلى العلم . أما العامى فمذهبه مفتيه كما أشرت إليه هنا . وهو المنقول عن السلف وهو المنصوص فى مذهب الأحناف فى : البحر . وحاشية السندى على فتح القدير . وقال فى فتح القدير الحكم فى حق العامى فتوى مفتيه وقال الفلانى رأيت مثله منقولا عن بعض علماء الشافعية .

قال المقلد : أكثرت علىَّ الثرثرة بدون فائدة . والآن أحب أن أنصحك لله والدين النصيحة وأحب لك ما أحب لنفسى . أترك عنك الثرثرة هذه وأترك فرقتك الشرذمة وكن مع السواد الأعظم تنجح وتربح وطالع من كتب المذاهب الأربعة ما شئت تجد ما يسرك . وتكن على بصيرة من دينك . وقد قيل من تبع عالما لقى الله سالما .

قال السلفى : إنى لا أشك أنك تقصد نصيحتى بما ذكرت وتحب لى ما تحب لنفسك . بالأخص فى هذا الأمر وأنا أصدّقك على ما قلت . إلا أنى أرى نصيحتك هذه أشبه بنصيحة أبى جهل لأبى طالب حين احتضر شرع يقول له أبو جهل أترغب عن ملة عبد المطلب . ولاشك أنه يحب لنفسه ملة عبد المطلب إلا أنه يعارض بذلك التوحيد الذى كان

رسـول الله ﷺ يعـرضـه على عمه كما تعارضني لتمنعني بنصحك هذا عن العمـل بالكتـاب والسنة . ولكني سأنصحك نصحا ليس كنصحك والنصح أغلى ما يباع ويوهب . فاعلم أن الله سبحانه وتعالى لم يكلفك ويـوجب عليـك اتبـاع شخص معين من أهل العلم . وغير سائلك عن إمـامـك ومذهبك حين تلقاه ويحاسبك عما أسلفت وعملت فى حياتك . إنما يسألك عن رسوله الذى أرسله إلى الثقلين وعما جاء به ﷺ . فأول عقبـة من عقبـات الآخـرة . وأول سؤ ال واختبار سيكون لك ولغيرك هو سؤ ال القـبر تُسأل فيـه عن الـرسول الكريم ﷺ والإمام الأعظم لا عن غيره تسأل فقـط . سيقـال لك ما تقـول فى الرجل الذى بُعث فيكم . أو هذا الرجل . ولن تسأل عن إمام المذهب إذ ذاك ولا بعده إلا أنه سبحانه وتعالى لم يعذرك بجهل ما شرعه لعباده حيث قطع العذر بانزال الكتب وارسـال الـرسـل صلوات الله عليهم . قال تعـالى : **﴿رسـلا مبشـرين ومنـذرين لئـلا يكـون للناس على الله حجـة بعـد الـرسـل﴾** وقـال : **﴿فـاسئلوا أهـل الذكر إن كنتم لا تعلمون﴾** فأمر الجاهل أن يسأل أهل العلم : وهـذه نصيحتى أهـديكها إن قبلتها . فيها سرورى وإلا فدعنى فإنى على بصيرة من دينى . وأخيراً أقول لك ما قاله مؤ من آل فرعون . قال سبحـانـه وتعـالى مخبراً عنـه : **﴿فستـذكرون ما أقول لكم وأفوض أمرى إلى الله إن الله بصير بالعباد﴾** .

الحمـد لله فى البـدء والختـام والصـلاة والسـلام على النبى سيـد الأنام وآله وصحبه الكرام .

قد تم بفضل الله وعونه سبحانه وتعالى

ما إياه أردت فى يوم الأحد الموافق ١٣ من ذى القعدة عام ١٣٦٦ هـ

متممـــة : جل ما نقلته فى هذه الرسالة من كتاب العلم لابن عبدالبر ومن إيقــاظ الهمم للفــلانى . فإنــه مروى بالأســانيـد وقـد حذفتهـا للاختصـار. وقـال الفلانى فى آخر مقدمته : إن جميع ما ذكرناه من الآثار من أول المقـدمـة إلى آخـرهـا كلهـا : مروى بأسـانيـد جيـاد حذفنـاها اختصـاراً . وجلهـا لحافـظ المغرب أبى عمر بن عبدالبر من كتاب العلم والتمهيد والاستذكار والأستيعاب كلها له . وما عداه : فمن كلام حافظ المشـرق أبى بكـر البيهقى وقليـلا منـه نقلتـه من رسالة العلامة المجتهد محمـد بن إدريس الشـافعى . والله الموفق للصواب . ولعل الناظر يجد فى هذه الـرسـالـة اختصـاراً فى بعض الأدلـة وتركاً لبعضهـا . أما الاختصار فصنعتـه عمـداً حذراً من التطويل لأن الرسالة كالإشارة فى الموضوع وأما ترك بعض الأدلة فتركتها لوضوحها . ولعل الناظر يجد اختصارا فى بعض الألفاظ يخل بالمعنى أو إطنابا بدون معنى أو تكراراً غير مفيد وغير ذلك . فإن كان الناظر من علماء السنة المنصفين فليصلح ما رأى ولا يكون حظه مجرد الاعـتـراض والطعن . قال سبحـــانـــه وتعـالى : **﴿كنتم خير أمـة أخـرجت للنـاس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر﴾** وإن كان الناظر جاهـلا بالكتـاب والسنـة فليس بالناظر المعنى وإن دعى عالما اصطلاحا لعلمه ببعض الفنون حاشا الكتاب والسنة .

تمت الرسالة بعون الله وحمده
ويليها الفـوائد السـبعة
لابن القيم رحمه الله

بعـد الفـراغ من جلسـات المتنـاظـرين بدا لى أن ألحق الفـوائـد السبعـة لابن القيم التى ينبغى علمهـا للمفتى وليـزداد بها الناظر بصيرة فيما سلف .

الفائـــدة الأولى

قال ابن القيم : ينبغى للمفتى أن يفتى بلفـظ النص مهـما أمكنه فإنـه يتضمن الحكم والـدليـل مع البيـان التـام فهـو حكم مضمـون له الصـواب متضمن للدليـل عليـه فى أحسن بيان وقول الفقيه المعين ليس كذلـك . وقـد كان الصحـابـة والتـابعـون والأئمـة الـذين سلكوا على منـاهجهم يتحـرون ذلـك غايـة التحرى حتى خلف من بعدهـم خلف رغبـوا عن النصـوص واشتقـوا لهم ألفـاظا غير ألفاظ النصوص فأوجب ذلك هجر النصوص ومعلوم أن تلك الألفاظ لا تفى بما تفى به النصوص من الحكم والـدليـل وحسن البيـان . فتولد من هجران ألفاظ النصوص والاقبال على الألفاظ الحادثة وتعليق الأحكام بها على الأمة من الفساد ما لا يعلمـه إلا الله . فألفـاظ النصـوص عصمـة وحجة بريئة من الخطأ والتنـاقض والتعقيـد والاضطـراب . ولـما كانت هى عصمـة الصحـابـة وأصـولهم التى إليهـا يرجعون كانت علومهم أصح من علوم من بعدهم وخطؤ هم فيما اختلفوا فيه أقل من خطأ من بعدهم . ثم التابعون بالنسبة إلى من بعدهم كذلك . وهلم جرا فقد كان أصحاب رسول الله ﷺ . إذا سئلوا عن مسألة يقولون :

قال الله كذا . قال رسـول الله ﷺ كذا . ولا يعـدلون عن ذلك ما وجدوا إليه سبيلا قط فمن تأمل أجوبتهم وجدها شفاء لما فى الصدور فلما طال العهـد وبعـد النـاس من نور النبوة صار هذا عيبا عند المتأخرين أن يذكروا فى أصول دينهم وفروعهم . قال الله تعالى . قال رسول الله ﷺ . أمـا أصـول دينهم فصـرحـوا فى كتبهم أن أقـوال الله ورسوله ﷺ لا تفيد

اليقين فى مسائل أصول الدين إنما يحتج بكلام الله ورسوله ﷺ فيها الحشوية والمجسمة والمشبهة وأما فروعهم فقنعوا فيها بتقليد من اختصر لهم بعض المختصرات التى لا يذكر فيها نص عن الله تعالى ولا عن رسوله ﷺ ولا عن الإمام الذى زعموا أنهم قلدوه دينهم . بل عمدتهم فيما يفتون ويقضون به وينقلون به الحقوق ويبيحون به الفروج والدماء والأموال على قول ذلك المصنف وأجلهم عند نفسه وزعيمهم عند بنى جنسه من يستحضر لفظ الكتاب ويقول هكذا قال وهذا لفظه . فالحلال ما أحله ذلك الكتاب والحرام ما حرمه . والواجب ما أوجبه . والباطل ما أبطله . والصحيح ما صححه . هذا وأنى لنا بهؤلاء فى مثل هذا الزمان فقد دفعنا إلى أمر تضج منه الحقوق إلى الله ضجيجا . وتعج منه الفروج والأموال والدماء إلى ربها عجيجا تبدل فيها الأحكام ويقلب الحلال بالحرام ويجعل فيه المعروف فى أعلى مراتب المنكرات والمنكر الذى لم يشرعه الله ورسوله من أفضل القربات . الحق فيه غريب . وأغرب منه من يعرفه . وأغرب منهما من يدعو إليه وينصح به نفسه . والناس قد فلق بهم فالق الاصباح صبحه عن غياهب الظلمات . وأبان الطريق المستقيم من بين تلك الطرق الجائرات فأراه بعين قلبه ما كان عليه رسول الله ﷺ وأصحابه . مع ما عليه أكثر الخلق من البدع المضلات ما رفع له علم الهداية فشمر إليه . ووضح له الصراط المستقيم فقام واستقام عليه . فطوبى له من وحيد على كثرة السكان وغريب على كثرة الجيران ، بين قوم رؤيتهم قذى العيون . وشجى الحلوق وكرب النفوس . وحمى الأرواح . وغم الصدور . ومرض القلوب إن أنصفتهم لم تقبل طبيعتهم الانصاف . وإن طلبته منهم فأين الثريا من يد الملتمس . فقد انتكست قلوبهم . وعمى عليهم مطلوبهم . رضوا بالأمانى . وابتلوا بالحظوظ وحصلوا على الحرمان . وخاضوا بحار العلم ولكن بالدعاوى الباطلة

وشقــاشق الهــذيــان . ولا والله ما ابتلت من وشله أقــدامهم ولا زكت به عقـولهم وأحـلامهم ولا ابيضت به ليـاليهم وأشـرقت بنوره أيامهم . ولا ضحكت بالهـدى والحق منـه وجـوه الدفاتر إذا بكت بمدادها أقلامهم .
أنفقوا فى غير شىء نفائس الأنفاس واتبعوا أنفسهم وحيروا من خلفهم من النـاس . ضيعـوا الأصـول فحـرموا الوصول . وأعرضوا عن الرسالة فوقعوا فى مهامه الحيرة وبيداء الضلالة والمقصود أن العصمة مضمونة فى ألفـاظ النصـوص ومعـانيهـا فى أتم بيان وأحسن تفسير . ومن رام إدراك الهدى ودين الحق من غير مشكاتها فهو عليه غير يسير .

الفائـــدة الثانيـــة

حكم الله ورسوله يظهر على أربعة ألسنة. لسان الراوى. ولسان المفتى. ولسان الحاكم. ولسان الشاهد. فالراوى يظهر على لسانه لفظ حكم الله ورسولـه. والمفتى يظهـر على لسـانـه معنـاه وما استنبطه من اللفظ. والحاكم يظهر على لسانه الإخبار بحكم الله وتنفيذه. والشاهد يظهـر على لسانه الإخبار بالسبب الذى يثبت حكم الشارع. والواجب على هؤلاء الأربعة أن يخبروا بالصدق المستند إلى العلم فيكونوا عالمين بما يخبرون به. صادقين فى الإخبار به. وآفة أحدهم الكذب والكتمان. فمتى كتم الحق أو كذب فيه فقد حاد الله فى شرعه ودينه وقد أجرى الله سنتـه أن يمحق عليـه بركـة علمه ودينه ودنياه ومن التزم الصدق والبيان منهم فى مرتبتـه بورك له فى علمـه ووقتـه ودينـه ودنيـاه وكـان مع النبيـين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا. ذلك الفضل من الله وكفى بالله عليـما. فبـالكتمان يعزل عن سلطانه وبالكذب يقلبه عن وجهه والجزاء من جنس العمل فجزاء أحدهم أن يعزل الله عن سلطانه المهـابـة والكـرامـة والمحبـة والتعظيم الذى يلبسه أهل الصدق والبيان. ويلبسه ثوب الهوان والمقت والخوف بين عباده. فإذا كان يوم اللقاء جازى الله من يشاء من الكاذبين الكاتمين بطمس الوجوه وردها على أدبارها كما طمسوا وجه الحق وقلبوه عن وجهه جزءاً وفاقا **﴿وما ربك بظلام للعبيد﴾**.

الفائـــدة الثالثـــة

لا يجوز للمفتى أن يشهد على الله ورسوله بأنه أحل كذا أوحرمه أو أوجبه أو كرهه لما لم يعلم أن الأمر فيه كذلك مما نص الله ورسوله على إباحته أو تحريمه أو إيجابه أو كراهيته وإذا ما وجده فى كتابه الذى تلقاه عمن قلده دينه فليس له أن يشهد على الله ورسوله به ويغرى الناس بذلك ولا علم له بحكم الله ورسوله. قال غير واحد من السلف ليحذر أحدكم أن يقول أحل الله كذا أوحرم كذا. فيقول الله كذبت لم أحل كذا ولم أحرمه. وثبت فى صحيح مسلم عن بريدة بن الحصيب. أن رسول الله قال: «إذا حاصرت قوما فسألوك أن تنزلهم على حكم الله ورسوله فلا تنزلهم على حكم الله ورسوله. فإنك لا تدرى أتصيب حكم الله فيهم. أم لا. ولكن أنزلهم على حكمك وحكم أصحابك» وسمعت شيخ الإسلام ابن تيمية يقول: حضرت مجلساً فيه القضاة وغيرهم. فجرت حكومة حكم فيها أحدهم بقول: زفر. فقلت ما هذه الحكومة. فقال هذا حكم الله. فقلت له صار حكم. زفر. حكم الله الذى حكم به والزم به الأمة. هذا حكم. زفر. وقوله فلا تقل هذا حكم الله ورسوله. أو نحو هذا من الكلام.

الفائـــدة الرابعـــة

ليحـذر المفتى الـذى يخاف مقـامـه بين يدى الله أن يفتى السائل بمـذهب الـذى يقلده . وهو يعلم أن مذهب غيره فى تلك المسألة أرجح من مذهبـه وأصـح دليـلا : فتحمله الـرياسة على أن يقتحم الفتوى بما يغلب على ظنه أن الصواب فى خلافه فيكون خائنا لله ورسوله . وغاشا له . والله لا يهدى كيـد الخـائنـين وحـرم الجنـة على من لقيـه وهو غاش للإسلام وأهله ، والدين النصيحة والغش مضاد للدين كمضادة الكذب للصـدق . والبـاطـل للحق . وكثـيرا ما ترد المسألـة نعتقـد فيهـا خلاف المـذاهب ولا يسعنـا أن نفتى بخـلاف ما نعتقـده . فنحكى المذهب ثم نحكى المذهب الراجح . ونقول هذا هو الصواب وهو أولى ما يؤخذ به . وبالله التوفيق .

الفائــدة الخامســة

إذا كان عنـد الـرجـل الصحيحـان أو أحـدهما أو كتاب من سنن رسول الله ﷺ . موثوق بها فيه فهل له أن يفتى بها يجده فيه فقالت طائفة من المتأخرين ليس له ذلك لأنه قد يكون منسوخا أوله معارض أو يفهم من دلالتـه خلاف ما يدل عليـه أو يكون أمر ندب فيفهم منه الايجاب أو يكون عاما له مخصص. أو مطلقا له مقيد فلا يجوز له العمل به ولا الفتيا به. حتى يسأل أهـل الفقـه والفتيـا. وقالت طائفة الصحابة: بل له أن يعمـل به ويفتى به بل يتعـين عليـه كما كان الصحابة يفعلون إذا بلغهم الحـديث عن رسـول الله وحـدث به بعضهم بعضا بادروا إلى العمل به من غير توقف ولا بحث عن معارض ولا يقول أحد منهم قط. هل عمل بهذا فلان وفـلان. ولـو رأوا من يقـول ذلـك لأنكـروا عليه أشد الانكار وكـذلـك التـابعون وهذا معلوم بالضرورة لمن له أدنى خبرة بحال القوم وسيرتهم. وطول العهد بالسنة وبُعد الزمان عنها لا يسوغ ترك الأخذ بها والعمـل بغـيرهـا ولو كانت سنن رسول الله ﷺ لا يسوغ العمل بها بعد صحتها حتى يعمل بها فلان أو فلان لكان قول فلان أو فلان معيارا على السنن ومزكيا لها. وشرطا فى العمل بها. وهذا من أبطل الباطل وقد أقام الله الحجـة برسـولـه ﷺ دون آحـاد الأمـة وقد أمر النبى ﷺ بتبليغ سنته ودعـا لمن بلغهـا. فلو كان من بلغتـه لا يعمـل بها حتى يعمل بها الإمام فلان والإمـام فلان لم يكن فى تبليغهـا فائدة وحصل الاكتفاء بقول فلان وفـلان قالـوا: والنسـخ الـواقع فى الأحاديث الذى اجمعت عليه الأمة لا يبلغ عشرة أحاديث البتة. بل ولا شطرها فتقدير وقوع الخطأ فى الذهاب إلى المنسـوخ أقـل بكثـير من وقـوع الخطأ فى تقليـد من يصيب ويخطىء

ويجوز عليه التناقض والاختلاف. ويقول القول ويرجع عنه ويحكى عنه فى المسألة الواحدة عدة أقوال ووقوع الخطأ فى فهم كلام المعصوم أقل بكثير من وقوع الخطأ فى فهم الفقيه المعين. فلا يفرض احتمال خطأ لمن عمل بالحديث وأفتى به إلا واضعاف اضعافه حاصل لمن أفتى بتقليد من لا يعلم خطأه من صوابه.

والصواب فى هذه المسألة التفصيل فإذا كانت دلالة الحديث ظاهرة بينة لكل من سمعه لا يحتمل غير المراد فله أن يعمل به ويفتى به ولا يطلب له التزكية من قول فقيه وإمام بل الحجة قول رسول الله ﷺ وإن خالفه من خالفه. وإن كانت دلالته خفية لا يتبين له المراد فيها لم يجز له أن يعمل ويفتى بما يتوهمه مرادا حتى يسأل ويطلب بيان الحديث ووجهه. وإن كانت دلالته ظاهرة كالعام على أفراده والأمر على الوجوب والنهى على التحريم. فهل له العمل والفتوى به يخرج على الأصل وهو العمل بالظواهر قبل البحث عن المعارض وفيه ثلاثة أقوال. وفى مذهب أحمد وغيره. الجواز. والمنع. والفرق بين العام فلا يعمل به قبل البحث عن المخصص. والأمر والنهى فيعمل به قبل البحث عن المعارض. وهذا كله إذا كان ثم نوع أهلية ولكنه قاصر فى معرفة الفروع وقواعد الأصوليين والعربية. وأما إذا لم يكن ثم أهلية قط ففرضه ما قال الله تعالى **﴿فاسئلوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون﴾** وقول النبى ﷺ «ألا سألوا إذا لم يعلموا إنما شفاء العى السؤال» وإذا جاز اعتماد المستفتى على ما يكتبه المفتى من كلامه وكلام شيخه وإن علا وصعد. فاعتماد الرجل على ما كتبه الثقاة من كلام رسول الله ﷺ أولى بالجواز وإذا قدر أنه لم يفهم الحديث كما لو لم يفهم فتوى المفتى فيسأل من يعرفه معناه كما يسأل من يعرفه معنى جواب المفتى وبالله التوفيق.

الفائــدة السادســة

يحرم على المفتى أن يفتى بضــد لفــظ النص وإن وافق مذهبــه ومثـالـه أن يسأل عن رجـل صلى من الصبـح ركعة ثم طلعت الشمس فهـل يتم صلاتـه . أم لا . فيقول لا يتمها . ورسول الله ﷺ يقول فليتم صلاتـه . ومثـل أن يسأل عمن مات وعليـه صيام . هل يصوم عنه وليه . فيقـول : لا يصـوم عنـه وليـه . وصـاحب الشرع يقول : من مات وعليه صوم صام عنــه وليـه . ومثـل أن يسأل عن رجـل باع متـاعـه ثم أفلس المشـــترى فوجـده بعينـه . هل هو أحق به . فيقـول : ليس هو أحق به . وصـاحب الشـرع يقول : هو أحق به . ومثل أن يسأل عن أكل ذى ناب هل هو حرام . فيقـول : ليس بحـرام . ورسـول الله ﷺ يقول : أكل ذى ناب من السبـاع حرام . ومثـل أن يسأل عن رجـل له شريك فى أرض أو دار أو بستـان هل له أن يبيــع حصتـه قبل إعلام الشريك بالبيع وعرضها عليه . فيقول : نعم . يحل له أن يبيع حصته قبل إعلام شريكه بالبيع . وصاحب الشرع يقول : «من كان له شريك فى أرض أو ربعة أو حائط . فلا يحل له أن يبيـع حتى يؤذن شريكـه» ومثـل أن يسأل عن قتل المسلم بالكافر . فيقول : نعم يقتل المسلم بالكافر . وصاحب الشرع يقول : «لا يقتـل المسلم بالكـافـر» ومثـل أن يسأل عن الصـلاة الوسطى . فيقول : ليست العصـر . وصاحب الشرع يقول : «صلاة العصر» ومثل أن يسأل عن رفـع اليـدين عنـد الركوع والرفع منه . هل هو مشروع فى الصلاة أو ليس بمشـروع . أو مكـروه . وربـما غلا بعضهـم فقال إن صلاته باطلة . وقـد روى بضعـة وعشـرون نفسـا ـ عن النبى ﷺ أنـه يرفـع يديـه عند الافتتـاح والـركوع والرفع منه ـ بأسانيد صحيحة لا يشكون فيها . ومثل

أن يسأل عن إكمال عدة شعبان ثلاثين يوما ليلة الاغمام . فيقول : لا يجوز اكمالـه ثلاثـين يومـا . وقـد قال النبى ﷺ «فإن غم عليكم فأكملوا عدة شعبان ثلاثين يوما» وأمثلته كثيرة وقد أنهاها ابن القيم رحمة الله عليه إلى مائة وخمسين مثالا .

الفائـــدة السابعـــة

الاجتهـاد هل هو يقبـل التجزى والانقسام فيكون الرجل مجتهدا فى نوع العلم مقلدا فى غيره أو فى باب من الأبواب كمن استفرغ وسعه فى نوع العلم بالفرائض وآلتها واستنباطها من الكتاب والسنة دون غيرها من العلوم أو فى باب الجهاد أو الحج أو غير ذلك فهذا ليس له الفتوى فيما لم يجتهد فيه . ولا يكون معرفته بما اجتهد فيه مسوغة له الافتاء بما لا يعلم فى غيره . وهـل له أن يفتى فى النـوع الذى اجتهد فيه . فيه ثلاثة أوجه . أصحهـا : الجـواز بل هو الصـواب المقطوع به والثانى : المنع . والثالث : الجـواز فى الفـرائض دون غيرهـا . فحجة الجواز أنه عرف الحق بدليله . وقد بذل جهده فى معرفة الصواب فحكمه فى ذلك النوع حكم المجتهد المطلق .

فإن قيـل فما تقـولون فيمن بذل جهده فى معرفة مسألة أو مسألتين هل له أن يفتى بها أو بهما . قلنـــا نعم . فى أصـــح القـولـين وهما وجهـان لأصحـاب أحمـد وهـل هذا إلا من التبليغ عن الله ورسوله ﷺ . وجزى الله من أعـان الإسـلام ولـو بشطـر كلمة خير أو منع هذا الافتاء بما علم خطأ محض والله ولى التـــوفيق . انتهى كلام ابن القيم رحمـة الله عليـه . والله يهدى من يشاء للصواب وإليه المرجع والمآب .

تتمة الفوائد

وقدم أحاديث الرسول ونصه   على كل قول قد أتى بإزائه

فان جاء رأى للحديث معارض   فللرأى فاطرح واسترح من عنائه

فهل مع وجود البحر يكفى تيمم   لمن ليس معذورا لدى فقهائه

وهل يوقد الناس المصابيح للضيا   إذا ما أتى راد الضحى بضيائه

سلامى على أهل الحديث فإنهم   مصابيح علم بل نجوم سمائه

بهم يهتدى من يقتدى بعلومهم   ويرقأ بهم ذو الداء علة دائه

ويحى بهم من مات بالجهل قلبه   فهم كالحيا تحيا البقاع بمائه

لهم حلل قد زينتهم من الهدى   إذا ما تردى ذو الردا بردائه

ومن يكن الوحى المطهر علمه   فلا ريب فى توفيقه واهتدائه

ومايستوى تالى الحديث ومن تلا   زخارف من أهوائه وهذائه

وكن راغبا فى الوحى لاعنه راغبا   كخابط ليل تائه فى دجائه

إذا شام برقا فى سحاب مشى به   وإلا بقى فى شكه وامترائه

ومن قال ذا حل وهذا محرم   بغير دليل فهو محض افترائه

وكل فقيه فى الحقيقة مدع   ويثبت بالوجهين صدق ادعائه

هما شاهدا عدل ولكن كلاهما   لدى الحكم قاض عادل فى قضائه

فواحر قلبى من جهول مسود   به يقتدى فى جهله لشقائه

إذا قلت قول المصطفى هو مذهبى   متى صح عندى لم أقل بسوائه

يرى أنها دعوى اجتهاد صريحة   فوا عجبا من جهله وجفائه

فسله اقول الله ماذا اجبتم   لمن هو يوم الحشر عند ندائه

يسألهم ماذا اجبتم ملوككم   وما عظم الانسان من رؤسائه

أم الله يوم الحشر يمتحن الورى   بماذا أجابوا الرسل من أنبيائه

وهل يسأل الإنسان عن غير أحمد   إذا ما ثوى فى الرمس تحت ثرائه

وهل قوله يارب قلدت غيره   لدى الله عذر يوم فصل قضائه

فهيهات لا يغنى الفتى يوم حشره   سوى حبه خير الورى واقتدائه

وإيثاره هدى الرسول وحكمه   على كل ما يقضى الهوى باقتضائه

يقول مصححه فى مسك ختامه

يقول بحمدالله «عبيد» ابن عبده ... وصيف وقد صح الكتاب بأصله

لقد فاز من حاذى النبى محمدا ... ولم ينأ عن أقواله وفعاله

فهذا الذى يحيى شريعة أحمد ... بهذا التأسى بالنبى وآله

ومن تابع الأصل الذى هو ثابت ... فيانجح مبناه وحسن مآله

«فيا صالحا» وابن الموفق «أحمد» ... أقمت لدين الله خير دليله

عليك سلام الله مادمت قائما ... وأسنى التحايا الغر يوم لقائه

فقارب نبى الله وادع لحبه ... «عويد» ونجل «للحجازى» وصحبه

تم والحمد لله رب العالمين

فهــرس تحــكيم الناظــر

الجلسة الأولى فى بحث الصفات

صفحة الموضـــــوع

صفحة الموضـــــوع